الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلية الآداب واللغات
Faculté des lettres et des langues

قسم اللّغة والأدب العربي
تخصص: دراسات نقدية

النقد عند طه حسين من خلال بعض كتبه النقدية

مذكرة مقدمة لنيل شهـــادة الما ستر

إعداد الطالبتين:
- ✓ أسماء عيقون
- ✓ خديجة بوصيلة

إشراف
- الدكتور علي لطرش

لجنة المناقشة:

	الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
1-	الدكتورأحمد حيدوش	.....	البويرة	..... رئيسا
2-	الدكتور علي لطرش	أستاذ التعليم العالي	الجزائر	.....مشرفا ومقررا
3-	مصطفى ولد يوسف	.....	البويرة	.....عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2015/2014

كـــلمـــــة شكـــــــــر

بسم الله الرحمن الرحيم

" قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين ".

صدق الله العظيم

الحمد لله الذي هدانا إلى نور العلم وميزنا بالعقل الذي يسير طريقنا، الحمد لله الذي أعطانا من موجبات رحمته الإرادة والعزيمة على إتمام عملنا نحمده يارب حمدا يليق بمقامك وجلالك العظيم، ونتقدم بالشكر إلى الذي لم يبخل علينا بنصائحه ومعلوماته وتوجيهاته، وقبوله الإشراف علينا أستاذنا الفاضل الدكتور " علي لطرش" أنار الله دربه وأوصله أعلى درجات.

كما نتقدم بالشكر الكثير والجزيل للدكتور الفاضل " أحمد حيدوش"

أسماء * خديجة*

إهداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية.

إلى من هي أندى من قطرات الندى وأصفى من ماء الرجى الى رمز الوفاء وفيض السخاء وجود العطاء عند البلاء إلى من رافقتني دعواتها في كل خطوة من خطوات حياتي

"**أمي العزيزة** "

إلى من كانت بسمتهم ونظرتهم تبعث في نفسي القوة والحياة إخوتي و أخواتي.

إلى صديقتي ورفيقة دربي "خديجة"

وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة

أسماء

إهداء

يا من أحمل اسمك بكل افتخار يا من افتقدك منذ الصغر إليك أهدي هذا العمل "

أبي الغالي"

إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

" أمي الحبيبة"

إلى من كانت بسمتهم ونظرتهم تبعث في نفسي القوة والحياة إخوتي و أخواتي

فطيمة، رقية، عبد الباسط وزوجته، سعاد، أمين، مريم، ياسمين، وهيبة

إلى فوانيس البيت ندى، نهاد، نهى، نوح

إلى الروح التي سكنت روحي "زوجي علي" وكل عائلته

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي "أسماء"، "مريم"، "أمال"، "سعيدة"، "كريمة"،

"أمينة"،"فيفي"، "فضة"

إلى من عملت معي بكد بغية إتمام هذا العمل صديقتي ورفيقة دربي "أسماء"

وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة

خديجة

مقدمـــة

قليل من الأدباء والمفكرين على كثرتهم الذين يصمدون لفعل الزمن، ويسكنون في نفوس القراء جيل بعد جيل، فرغم كثرتهم فإن القليل من الشعراء والكتاب الذين استمرت إبداعاتهم وأثارهم ووجدت صداها في مخيلة وأذواق القراء والمفكرين، ويعد طه حسين من ضمن هؤلاء الكبار الذي يمثل ظاهرة متميزة في حقل الأدب العربي الحديث، فهو الأديب والناقد الذي نقشت شخصيته في تاريخ الأدب العربي، لما قدمه في سبيل التجديد والتنوير متحديا كل العقبات والمحن الذاتية والظروف الاجتماعية التي وقفت أمام مسيرته في تحقيق طموحاته الثقافية والاجتماعية وغيرها.

ولعل هذه الأسباب شجاعة هذه الشخصية، وقوة إرادتها وذكائها وتغلبها على ما يحول ويقف أمامها في الوصول إلى أهدافها هي التي كانت الدافع والحافز في اختيار هذا الموضوع أي عظمة هذه الشخصية وتعدد جوانبها الثقافية ثم رغبتنا في اكتشافها وابراز خصوصيتها في حياتها ومسيرتها الثقافية كما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو حب التساؤل عن مراحل وكيفية تشكل وتكون الرؤية النقدية عند طه حسين، وما هي طبيعتها؟ وما هي اتجاهها؟

وقد ارتأينا تقسيم هذا البحث الموسوم بـــ:« **النقد عند طه حسين من خلال بعض كتبه النقدية** » إلى مقدمة وتمهيد وفصلين تعقبها خاتمة كحوصلة لنتيجة البحث.

الفصل الأول المعنون ب " حياة طه حسين نشأته و ثقافته " أدرجنا فيه ثلاث مباحث.

المبحث الأول: عرضنا فيه الحالة الاجتماعية والعائلية لطه حسين .

المبحث الثاني: ينابيع ثقافة طه حسين ودوافع توجهه إلى النقد.

المبحث الثالث : تطور الرؤية النقدية عند طه حسين

أ. مرحلة التقليد.

ب. مرحلة التجديد.

ج. شخصيات مؤثرة في فكر طه حسين النقدي.

الفصل الثاني المعنون بـ" نماذج من خطاب طه حسن النقدي" وخصصنا الحديث فيه لنماذج من خطاب طه حسين النقدي عارضين فيه قضايا نقدية من بعض كتبه، ومعاركه النقدية، وأنهينا البحث بخاتمة كحوصلة لنتائج البحث.

أما المنهج المتبع في هذا البحث هو منهج الوصف والتحليل الذي رأيناه الأنسب لموضوعنا. وعند دراستنا لهذا الموضوع واجهتنا صعوبات ككل الطلبة الجامعين وذلك بسبب نقص بعض المراجع إلى جانب ضيق المكتب، بالإضافة إلى الانتظار الطويل عند استعارة الكتاب.

ولكن مهما كانت العراقيل التي اعترضت سبيل البحث، فإنها تهون أمام هذا الأديب الكبير. وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا ولو قليلا في مسعانا، فإن وفقنا فمن الله والخير أردنا، وإن لم نكن كذلك فحسبنا أجر الاجتهاد.

البويـــــــرة

20015/09/21

تمهيد

تمهيد:

استمد النقد العربي الحديث حياته من واقع الحياة العربية والبعث وقد اتجهت النهضة الفكرية وجهات ثلاث: الدعوة العربية، الدعوة الإسلامية والدعوة الأوروبية وكان نصيب الأدب من هذه الدعوات الثلاث نصيب غيره من جوانب الفكر والفن[1] وسنبين ذلك فيما يلي:

الاتجاه الأول: هو تيار متعصب لثقافة عربية محضة تقف في مواجهة الفكر الأوروبي الدخيل وذلك للحفاظ على الهوية العربية فهذا الاتجاه دعا إلى بعث الأدب العربي القديم والاستعانة بروائعه لبناء النهضة الأدبية الحديثة وذلك استعان العرب من الشعراء بنظم "أبو نواس" و"أبو تمام" و"البحتري" وغيرهم من فحول الشعراء فحاولوا بذلك تقليدهم وكان من بينهم "البارودي" وأتباعه.

وقد حاول النقد أن يقف ويدعم هذه الحركة الجديدة فيرعاها ويؤديها وكان للشيخ "حسين المرصفي"[2] الدور الفعال في إبراز هذا النقد فاستعان في كتابه "الوسيلة الأدبية" بأصول النقد العربي القديم وهذا الاتجاه الذي سار عليه "طه حسين" خاصة في مطلع شبابه باعتباره تلميذ المرصفي.

الاتجاه الثاني: ويتمثل في الاتجاه الأخلاقي، فقد اتخذ سبيله في النقد عن طريق توجيه الشعر نحو المبادئ الإسلامية، ومطالبه الكتاب والشعراء بإحياء تلك المبادئ والسير عليها وعدم الخروج عنها وفي هذا الصدد يقول "محمد زغلول": « وكان الاتجاه الإسلامي ينحو ناحية المحافظة والجمود، ويخرج أحيانا أخرى عقال الجمود منطلقا مجددا مستعينا بالفكر الحديث متطورا مع مقتضيات العصر موقفا بين الدين والحضارة الجديدة قدر الإمكان»[3]. **أما الاتجاه الثالث:** و يتمثل في الاتجاه الأوروبي الذي بدت مظاهره

---

[1]– ينظر، محمد زغلول، تاريخ الأدب الحديث "أصوله واتجاهاته ورواده نشأة المعارف الإسكندرية(د.ط) (د.ت)، ص 157.

[2]–ينظر. المرجع نفسه، ص 158.

[3]– المرجع نفسه، ص 158.

في الأدب والنقد في كتابه الكثير من الكتاب الذين اكتسبوا ثقافة غربية فتحمسوا بشكل واضح لهذه الدعوة فدعوا إلى الأخذ بأسباب التطور الموجودة في الأدب الغربي والتجاوز عن بعض السمات والملامح التي تطبع الأدب العربي وتمنعهم من السير في طريق التطور وقد كان لهذه الاتجاهات الثلاث الأثر الكبير في النقد العربي وقضاياه منذ نشأته ولا تزال آثارها إلى يومنا هذا[1].

عرفت الحياة الأدبية ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر تطورا واسعا بفضل التجديد الذي اشتقت منه لنفسها أدبية جديدة تلائم الذوق الحديث والحياة الحديثة تلك الفترة قد خلت الحياة الثقافية من كل باب ودرب وأخذ النقاد في عرض النصوص وتحليلها وقد أصبح النقد ملتئما بالعلم ولم يعد منفصلا عن الثقافة العملية مما قربه إلى العلمية[2].

وكان "طه حسين" بين قلة من الرجال في عالمنا العربي الذي تتسم حياتهم بالمواقف المشرفة إلى جانب رصيدهم الهائل من الأعمال العظيمة غير أن هذا الرصيد وحده لا يقيم هذا الصرح الشامخ الذي عرفناه وهو طه حسين ولا أدل على ذلك من أن في العالم العربي كما في غيره من أمم رجال لهم رصيد من الأعمال مساوي لرصيد طه حسين أو يفوقه ولكنهم لا ينالون ما ناله اسم طه حسين من اهتمام وتقدير والسبب هو أن رصيد طه حسين من المواقف يزيد ولا شك عن ذلك[3].

ولهذا فالحديث عن طه حسين يهدف أساسا إلى تتبع حياته ومواقفه الخالدة.

---

[1]– ينظر محمد زغلول سلام، النقد الأدبي الحديث وأصوله وقضاياه ومناهجه المكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1964م ص 103.

[2]– ينظر كمال نشأت، النقد الأدبي الحديث في مصر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد 1983م ص 17.

[3]– سامح كريم، ماذا تبقى من طه حسين، دار القلم بيروت لبنان، طبعة جديدة، (د.ت)، ص 12.

الفصل الأول: طه حسين، نشأته وثقافته

1- الحالة الاجتماعية العائلية لطه حسين.

2- ينابيع ثقافة طه حسين ودوافع توجهه إلى النقد.

أ. ينابيع ثقافة طه حسين.

ب. دوافع توجهه إلى النقد.

3- تطور الرؤية النقدية عند طه حسين.

أ. مرحلة التقليد.

ب. مرحلة التجديد.

ج. شخصيات مؤثرة في فكر طه حسين.

1- الحالة الاجتماعية العائلية لطه حسين:

ولد طه حسين في 14 نوفمبر 1889 في عزبة (الكيلو) التي تقع بمحافظة المبنية بالصعيد الأوسط، وكان والده (حسين علي) موظفاً في شركة السكر، التي كانت تملك أراضي الدائرة السنية في تلك المنطقة، وأنجب ثلاثة عشر ولدا سابعهم "طه حسين، وكان زواج والده بأمه (رقية بنت موسى محمد) هو الزواج الثاني بعد مرض زوجته الأولى.

والمعروف أن طبيعة الحياة في مثل هذه الأسرة كبيرة العدد صعبة العلاقات الاجتماعية،حيث ينشأ أفراد الأسرة على نوع من القدرة على الدفاع عن النفس ، ولعل في هذه النشأة ما يفسر اتجاه «طه حسين» من بعد في صحافاته و مقالاته، والعنف في الكثير من الأحيان على النحو الذي يبين توجهه إلى الجدال والنزال في مقالاته الأدبية والسياسية [1].

أما عن فقدانه لبصره فقد وصفه بقوله: «أصابه الرمد فأهمل أياماً ثم دعي الحلاق فعالجه علاجاً ذهب بعينيه»[2].

والمؤسف في ذلك أن هذا الظرف البصري قد وقع له في سن مبكر، وقد تم إلحاقهم بالشيخ «محمد جاد الرب» فقيه البلدة ليحفظ القرآن، وفي عام 1898م كان قد أتم حفظ القرآن الكريم،وإلى جانب الظرف البصري عاش طه حسين طفولة قاسية، نلتمس أبعادها على مستوى حياة أسرته التي كانت فقيرة سيئة الحال، وقد كان لهذه البيئة الدور الفعال في تحديد المكونات الثقافية الأولى إلى جانب الأدب الشعبي وحفظه القرآن. [3]

1- ينظر عبد العزيز شرف، طه حسين و زوال المجتمع التقليدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ط2 ،1977م، ص17 .18 .

2- طه حسين، الأيام، ج1، دار المعارف مصر، ط 59 ،1981م، ص120.

3 - ينظر عبد العزيز شرف، طه حسين و زوال المجتمع التقليدي، ص 18،19.

واتجهت به حادثة اللقمة الشهيرة إلى أن تغرس في نفسه إرادة قوية، وتتمثل هذه الحادثة أنه كان جالساً إلى العشاء بين إخوانه وأبيه، وكانت أمه كعادتها تشرف على حفنة الطعام، ترشد الخادم، وترشد إخوانه اللواتي كن يشاركن الخادم في القيام بما يحتاج إليه الطاعمون، وكان يأكل كما يأكل الناس ولكن أمر ما خطر له خاطر غريب!؟ ما الذي يقع له لو أنه أخذ اللقمة بكلتا يديه بدل أن يأخذها كعادته بيد واحدة؟ وما الذي يمنعه من هذه التجربة لا شيء، إذن فقد أخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها في الطبق المشترك ثم رفعها إلى فمه، فأغرقوا إخواته في الضحك، أما أمه فأجهشت بالبكاء، وأما أبوه فقال له في صوت هادئ و حزين «ما هكذا تؤخذ اللقمة يا بني...،» [1] وأما هو فلم يعرف كيف قضى ليلته...

ولم يقتصر أخذ نفسه بهذه الشدة على صفوف الأكل أو عذابات النفس، وإنما تجاوزها إلى التحفظ في ألوان اللعب والإحتراس في تصرفاته وسلوكه، مما جعله يسبق سنه بما يسلك من مواقف. [2]

كما كانت هناك مؤثرات أخرى جعلت "طه حسين" يعرف الحزن ويلازمه طوال حياته، هما حادثتان مهمتان تتمثل الأولى في أولهما وفاة أخت له في الرابعة من عمرها وقد وصف هذا الحادث بروعة لا تعد لها تأثير، وروعة في وصف الذي وصفه لوفاة أخيه الذي توفي سنة 1902م بمرض الكوليرا إذ منذ ذلك اليوم استقر الحزن في الدار، ومنذ ذلك اليوم تغيرت نفسية صبي تغيرا تاماً، وعرف الله حقاً وحرص على أن يقترب إليه بكل ألوان التقرب، ومنذ ذلك اليوم

1- سامح كريم، ماذا تبقى من طه حسين، ص18.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 18.

عرف الصبي أرق الليل فكم انفق سواد الليل كاملاً يفكر في أخيه، بعد هذا كانت فكرة سفره طه حسين مع أخيه تاركا القرية التي نشأ وترعرع فيها. [1]

2- ينابيع ثقافة طه حسين ودوافع توجهه إلى النقد:

أ. ينابيع ثقافة طه حسين:

- **تلميذ في الأزهر:** في عام 1902م التحق طه حسين بالأزهر، بعد أن أدى امتحانا في القرآن الكريم، ثم انتسب إلى الأزهر، وحضر دروس المبتدئين، واستمر على ذلك ثلاث سنوات حيث سمع فيها آخر درسين ألقاهما الأستاذ الإمام في الأزهر في شتاء 1905م. [2]

كان الأزهر في بداية الأمر يشكل تحديا كبيرا، وكان عليه أن يواجهه، لأنه يعتبره مهد العلم المطلق الذي لا حدود له، ولكن لم يمض بالأزهر إلا سنوات حتى ضاق ذرعاً نتيجة لجمود أساليب التعليم وموضوعه، بل صار عدوانياً في نقده الشخصي لمشايخه وطريقة كلامهم وإلقائهم. [3]

ولم يكن يحسن الظن بمشايخه وأساتذته فحسب بل كان ظنه يزداد سوءاً بهم مع الأيام، فقد كان يسمع بين حين وآخر عيباً لأولئك المشايخ بألوان من النقائص التي تتصل بالسيرة، أو بالفكر والرأي، وهذا ما كان يثير في نفسه كثيراً من العنف والازدراء، وخيبة الأمل، ويزداد طه حسين ضيقاً بالأزهر وأساتذته كما يضيقون هم كذلك بأسئلته وطول لسانه، حتى هداه تفكيره أن يعتمد على مصادر الكتب دون المشايخ، وأن يعرف طريقه إلى دار الكتب خير من الذهاب كل يوم إلى الأزهر ذلك المكان الذي سمع فيه « أقبل يا أعمى » [4].

---

1 - ينظر طه حسين، الأيام ج1، ص 136/134.

2 - ينظر عبد العزيز شرف ، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص 23.

3 - ينظر طه حسين، الأيام ج3، دار المعارف، مصر،(د.ط)، 1972م، ص03.

4 - سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، دار القلم، بيروت لبنان، طبعة جديدة (د ت)،ص 27.

قضى طه حسين أربعة أعوام في الأزهر حيث يعدها أربعين عاماً لأنها قد طالت عليه من جميع أقطاره «كأنها الليل المظلم قد تراكمت فيه السحب القاتمة الثقال فلم تدع النور إليه منفذاً»

وفي أثناء ذلك فتحت الجامعة المصرية أبوابها سنة 1908م، فباشر هذا الطالب دروسه في الجامعة ، وفي ذلك الحين توثقت صلته " بأحمد لطفي السيد" رئيس تحرير الجريدة، و" عبد العزيز جاويش" رئيس تحرير جريدة " العلم"[1].

ولعل فكرة الشيخ "جاويش" هي التي غيرت مسار حياة طه حسين، وفي ضرورة سفره" إلى فرنسا عامين أو ثلاثة"[2].

ب. **في فرنسا:**

كان للوسط الفرنسي دوراً هاماً في تكوين شخصية طه حسين، وذلك في تعميق إحساسه بذاته الفردية والقومية، حيث أصبح مهيأً لتقبل الثقافة الأوروبية، وأتيح له ذلك حين قررت الجامعة إرساله عام 1914م في بعثة إلى فرنسا، فسافر إلى " مونبيليه"[3].

وفي مونبيليه استشعر طعماً جديداً للحياة، بل وأكثر من ذلك، وجد نفسه بكل ما تحمله الكلمة من معنى أوجد نفسه بعد أن كان ضائعاً، بين عسر الحياة المادية من ناحية، وفقر الحياة المعنوية من ناحية أخرى، وحتى تكون الحياة في مونبيليه أكثر سعادة، أخذ يتهيأ لإتقان اللغة الفرنسية من جهة، وتعلم اللاتينية من جهة أخرى، بعد ذلك يدخل جامعة مونبيليه، وأصبح يحضر دروساً في علم النفس، على يد الأستاذ " فوكوا"، ودروساً أخرى في الأدب الفرنسي، وفي التاريخ

1 – ينظر خالد الكركي، طه حسين روائياً، مكتبة الرائد العلمية، عمان الأردن، (د ط)، 1992م، ص 25،27.
2– طه حسين، الأيام ج3، ص 32.
3 – ينظر عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص29.

الحديث على يد أساتذة آخرين، وبدأ يتلاءم مع الحياة الفرنسية، خاصة بعد أن دخلت حياته شريكة عمره سوزان، وكان ذلك في 18مايو عام1915م، وكان لهذه السيدة الفضل الكبير في تخطي طه حسين لكثير من العقبات التي واجهته في فرنسا.[1]

ولنترك عميد الأدب العربي يسجل لهذا اليوم في رائعته الأيام حيث يقول: « كأنه تلك الشمس التي أقبلت في ذلك اليوم من أيام الربيع، فجلت عن المدينة ما كان قد أطبق عليها من ذلك السحاب الذي كان بعضه يركب بعضاً، والذي كان يقصف ويعصف حتى ملأ المدينة، أو كاد يملؤها إشفاقاً وروعاً، وإذا المدينة تصبح كلها إشراقاً ونوراً» [2]، وتعد مونبيليه من أحب المدن إلى قلبه بعد موطنه "مصر"، لم يسعد بها طويلا، فبعد سفر رفيقة عمره" سوزان" إلى باريس، في الإجازة الصيفية جاءه ما هو أقسى وأمر، نبأ عودته فجأة إلى مصر، وأن يقطع بعثته بعد مرور أكثر من عام، على سفره، وسبب ذلك إفلاس الجامعة المصرية، فقررت إعادة مبعوثيها من الخارج وكان من بينهم "طه حسين" . [3]

أعيد صاحبنا إلى جامعة مصر في عام 1934م، ثم عين بعد ذلك عميداً لكلية الآداب في سنة 1936م وفي أواخر عام 1939م، عين مراقباً للثقافة في وزارة المعارف، ثم وزيراً للمعارف في الحكومة الوفدية، التي بقيت في الحكم من 1950م حتى 26 كانون الثاني من 1952م، وانصرف طه حسين خلال هذا العام إلى الإنتاج الفكري، وإلى مختلف النشاطات في المجامع العلمية، التي كان عضواً فيها، منها "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة، والمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، والمجمع المصري وغيرها من الهيئات العلمية.[4]

---

1 – ينظر سامح كريم، مادا تبقى من طه حسين ،ص 48،49.

2 – المرجع نفسه،ص49.

3 – ينظر المرجع نفسه، ص49.

4 – ينظر فؤاد المرعي، النقد الأدبي الحديث، منشورات جامعة حلب، د ط ،1981م ،ص106.

- دوافع توجهه إلى النقد الأدبي:

إن للطريق الذي سلكه "طه حسين" إلى النقد الأدبي، كانت له دوافع وأسباب وجهته وجهة نقدية، فقد كانت لنشأة طه حسين وتكوينه الفكري والسياسي، دخل كبير في المعارك النقدية التي خاضها في حياته، فكانت لهذه المعارك النقدية، خلفيات وتفسيرات سياسية، واجتماعية، وفكرية،ونفسية.

أ. التفسير السياسي:

وجد طه حسين في فترة كانت فيها مصر تعيش في الهزيمة، التي منيت بها الثورة العربية،ولابد أنه سمع في صباه أحاديث عن ثورة، فشب فازدادت معرفته بها، وبما انتهت إليه من هزيمة، ولابد أن طه حسين وجيله يذكرون جيداً ما أصاب مصر بعد هذه الثورة، فقد عاصروا أحداث ونتائج الثورة، وعايشوها وعانوا الكثير من جراء هذا الاحتلال، وقد كان طه حسين يسمع لما يتحدث عنه أخوه الأكبر، ورفاقه عن الثورة، والذين يكثرون الالتفاف بالشيخ "محمد عبدو"، وفي نفس السنة التي يسافر فيها طه حينها كمبعوث إلى فرنسا سنة 1914م تفرض بريطانيا حمايتها على مصر، ولا بد أنه دقق في كلمة حماية، فعلم أنها نظام مرن، تتفاوت معاينة بين سيطرة قوية أو نفوذ سياسي، لقاء الدفاع عن البلاد ومراقبة سياستها الخارجية.[1]

ويعود طه حسين من بعثته، وبالطبع يدرك كغيره أن ثورة 1919م انتهت بنتائج شكلية، حول الجلاء والاستقلال، ويدرك في نفس الوقت أن اكتفاء الحركة الوطنية بهذه الشكليات فيه أكبر نكسة للحركة الوطنية نفسها[2].

1 - ينظر سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص44،45.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص46.

وسبب هذا الوضع السياسي الذي شهدته مصر في عشرينات وثلاثينات هذا القرن العشرين،جعلت الكثير من الأدباء والمفكرين ينزعون إلى النقد والأدب، وما يدور حوله من المعارك، وقد أدى هذا إلى ظهور أكثر وأقوى المعارك الفكرية لــ "طه حسين"، وعند عودته إلى مصر وجد جواً مناسباً للثورة الفكرية والجدال والنقاش الفكري والسياسي ، ومن أبرز المعارك التي خاضها في ثلاثينيات ذلك القرن، وبالتحديد أثناء رئاسة "إسماعيل صدقي" للوزراء التي خاضها ضد "صدقي"، وهاجم الاعتداء على الدستور، وهذا الذي جعل صدقي يصدر قرار نقل "طه حسين" من الجامعة العربية إلى وزارة المعارف، ورفض طه حسين أن يزاول أي عمل آخر إلا في كلية الآداب، وهذا ما أدى إلى فصل طه حسين، واشتعلت الجامعة بسبب ذلك، وبالطبع تحول طه حسين إلى مهاجم، أوقف قلمه للدفاع عن الحرية والدستور والتنديد بالاستبداد الديكتاتوري، ولم يكن طه حسين بعيداً في نضاله عن الأحزاب السياسية في معاركه العديدة التي خاضها في تلك الفترة.

وقد كانت الأحزاب السياسية سيف ذو حدين أنذاك، رغم الضرر الذي أحدثته في جوانب عديدة، إلا أنها أحدثت تطوراً كبيراً في الجانب الفكري، وانتماء طه حسين إلى بعض هذه الأحزاب ولّد في نفسه بذور المعارضة منذ بداية حياته، ومن بين هذه الأحزاب "الحزب الوطني"، الذي أسسه "مصطفى كامل"[1].

وللجانب السياسي الأثر الكبير في بروز الكتابات النقدية، والمعارك الأدبية لطه حسين .

ب. التفسير الاجتماعي:

إذا كان "طه حسين" أكثر المحبين للمعارك، فلا بد أن يكون للبيئة أثر في ذلك، رغم أن طه حسين كان يحضى بمكانة خاصة بين اخوته من طرف والديه، وهذا ما كان يسبب له مشقة،لأن غروره شديد يريد ألا يحس بأنه ضئيل الشأن لا يستحق عناية به، فهو لا يريد من أهله الرأفة

1 – ينظر سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص 47،48.

والرحمة، وإنما يريد الاعتراض، والإنكار، بل كان يعارضهم منذ صغره، وبذرة المعارضة هذه نماها عنده والده منذ البداية، فقد كان يعترض على قراءة أبيه لدلائل الخيرات[1].

وعندما ينهره والده قائلاً: «هذا تعلمته من الأزهر؟ يرد في تحدي منهمر، تعلمت في الزهر أن كثير مما نقرأه في هذا الكتاب مراراً لا يضر ولا ينفع، فما ينبغي أن يتوسل الإنسان بالأولياء والأنبياء، وما ينبغي أن يكون بين الله والناس واسطة، إنّ لون من ألوان الوثنية».[2]

ويغضب الوالد ولكنه يتضمد هذا الغيض ويحتفظ به مبتسماً، وقد كان الوالد راضياً على أسلوب ابنه في النقد والهجوم، بل إنه كان يشجعه على ذلك، وهذا يدل أن نشأته الأولى كان لها أثر في ظهور معاركه الأدبية والفكرية، ولم يقتصر هذا الأثر في بيئته الأولى، بل تجاوز ذلك إلى المجالس الأدبية الكبيرة، وفي مقدمتها " مجلس الأستاذ أحمد السيد "، و"عبد العزيز جاويش"، فقد كان لطفي السيد يشجع أسلوبه في النقد، على أن لا يكون عنيفاً، أما "عبد العزيز جاويش" فقد كان يشجعه لما يكتبه من نقد وهجوم، إلى جانب هذا كله.

فإن البيئة التي كانت حوله جعلته يتمدرس على هذا التمرد، فكان أخوه الأكبر وأصدقاؤه يمثلون الفئة الساخطة على التقاليد العتيقة، وكانوا عندما يتحدثون عنه في الغرفة، فينصب "طه حسين" إليهم بانتباه فذات يوم ترك الإمام الأزهر إلى منصب الإفناء، كان الشقيق ورفاقه في مقدمة من طلبوا بعودته إلى الأزهر، شم هذا الطالب الصغير في هذا رائحة التمرد، وكم كان ذلك يثير إعجابه، وينمي لديه بذرة المعارضة واستعداده للمعارك. [3]

1 – ينظر سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية،ص 49، 50.

2 – طه حسين، الأيام ج2، دار المعارف، مصر، ط 29، 1981 م، ص305.

3 – ينظر سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية و الفكرية ، ص 52/50.

ج. التفسير الفكري:

لأسلوب النقد في حياة عميد الأدب "طه حسين"، تبرير فكري نستطيع أن نلمحه في تتبع أثاره الفكرية، وسلوك حياته العلمية، منذ ممارسته للكتابة إلى اللحظة التي توقف فيها عن التفكير،ويمكن حصر التفسير الفكري في الملاحظات التالية:

– تأثيره بثلاثة من المفكرين المصريين هم: الإمام "محمد عبدوا"، والأستاذ "قاسم أمين"، "أحمد لطفي السيد"، ويعد هؤلاء ممن ساهموا في بناء نزعة المعارضة لدى طه حسين[1].

– الصراع بين "أحمد لطفي السيد"، و" عبد العزيز جاويش"، ولّد صراعاً حاداً في فكر طه حسين ونتج عن هذا التناقض الأثر الكبير في معاركه، ومقالاته النقدية، أما من الناحية الأخرى فنجده متأثراً بكل من أستاذه في الأزهر الشيخ "المرصفي"، و"المستشرق" كارلونالينوا" أستاذه في الجامعة المصرية القديمة[2] .

كما كان لطه حسين أثر من أبي العلاء المعري، وعبد الرحمان ابن خلدون من خلال أطروحة الدكتوراه، وهذا عن قصد لأن الاثنين من أصحاب مذهب الشك، فالمعري يبدي أراءه في مصير النفس، وشقاء، ومتاعب الحياة، والشك في اليقين في الإيمان بالعقل الذي قاده إلى شتى المعضلات الفلسفية، والتي زادته شكاً وحيرة، أما بالنسبة لابن خلدون، فهو يرى أن المجتمعات تختلف وتتشابه وأن المؤرخ لا بد أن يلم بطبائع المجتمع، وأن ينفذ شاكاً ومعلقاً على كل ما يصله من رواية المؤرخين[3].

ولعل ما قدمناه يعطي في نهاية الأمر تفسيراً فكرياً للمقالات والمعارك النقدية التي كان يخوضها.

---

1 – ينظر سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص54.

2 – ينظر المرجع نفسه، ص54/ 56.

3 – ينظر المرجع نفسه، ص 57.

د. التفسير النفسي:

يقول أحد أساتذة التحليل النفسي في جامعة الدكتور "محمد عماد فضلى" عن طه حسين قائلاً: « الدكتور طه حسين شخصية متعددة الجوانب لها أبعاد كثيرة، ولهذا يتطلب فهم دوافعها النفسية دراسة عميقة متأنية لعوامل كثيرة منها ما هو موروث، ومنها ما هو مكتسب، ومنها ما أملته ظروف الحياة، ومنها ما أملته شخصيته نفسها، وكل ما يمكن أن يقال بالنسبة لتأثير حرمانه من نعمة البصر على شخصيته...» [1].

ومن هنا يمكن القول أن حالة الدكتور طه حسين ككفيف: تلك العاهة التي تفرض على من يكابدها سلوكاً معيناً يقرره علماء النفس ،أقل ما يقال فيه أنه يكون دائماً مستفزاً متبرماً، هذه الحالة ليس لها تأثير على تفكير طه حسين، بل دفعته إلى تعويض هذا النقص، فقد كان معتمداً على ذاكرته السمعية أساساً، لأنه كان صاحب ذاكرة سمعية قوية، ويظهر هذا في اعتماده على ترديد المعنى في تأني مع العناية بمخارج الألفاظ تأكيد للناحية السمعية، إلا أن التعويض على النوعين فمنه ما يصدر عن وعي وقصد وما يوجه للصالح العام والخاص، ويراعى أحكام الواقع، وهذا هو النوع الصحي لا من التعويض، ومنه ما يصدر عن اللاوعي ويقصد به مجرّد الدفاع عن النفس، ولهذا فقد لا يراعي أحكام الواقع ،وهذا هو النوع المرضي الواضح من سيرة طه حسين، ومنجزاته الفكرية والسياسية، وقد أكسبه هذا كله ثقة زائدة في نفسه، قوت من طبيعة شخصيته الميالة إلى الثورة على التقليد والمحاكاة، والرغبة في الابتكار [2].

وبهذا يرى الدكتور "فضلى"، أن كثرة معاركه راجعة إلى طبيعة الثائرة على التقليد الراغبة في التجديد وهذا ما يوافق مع الثقة بالنفس التي يتسم بها الدكتور طه حسين.

---

1 – سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية،ص60

2 – ينظر المرجع نفسه، ص61.

2- تطور الرؤية النقدية عند طه حسين:

كان طه حسين يرى أن الصراع بين القديم والجديد أمراً طبيعياً، وأن الخصومة بين الاثنين تستمر في كل لغة، وفي كل جيل، وحول كل أدب،فحيثما وجدت حياة وجدت قوتان، قوة الجديد والقديم، وقد يحدث أحياناً أن يختل التوازن بينهما، فإذا انتصر القديم ساد الركود والجمود، وإذا غلب الجديد كان هناك تطور...لكن هذا التطور مرحلي...لا يلبث أن يصبح قديماً ، وفي صراع من جديد مع الجديد.

والدكتور طه حسين يقول في ذلك: « فليس للجديد بد من أن يجاهد ويتأثر بالحياة، وليس للقديم بد من أن يجاهد قبل أن يزول ويفقد سلطانه على النفوس، فما دامت هناك حياة فهناك قديم وجديد، وجهاد بين القديم والجديد، وأنصار القديم وأنصار الجديد... ويقول في موضع آخر: «هو التوازن الصحيح بين عنصر الاستقرار، وعنصر التطور، فإذا تغلب عنصر الاستقرار فالأمة منحطة وإذا تغلب عنصر التطور فالأمة ثائرة، والثورة عرض أيضاً... كلاهما يزول ليقوم مقامه النظام المستقر على اعتدال هذين العنصرين »[1].

وقد شرح طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» ركائز التجديد الذي يريده، وجعل هذا التجديد قائماً على ثلاثة أركان : احتذاء الغرب، إحياء التراث العربي الإسلامي والشخصية المصرية[2] والرؤية النقدية عند عميد أدبنا العربي قائمة على مرحلتين مهمتين:

أ.مرحلة التقليد: فالناظر في كتابات طه حسين الأولى يراها تميل كل الميل إلى النقد اللغوي، والبلاغي، فطه حسين كان ينقد على أساس من الصحة اللغوية، وجمال الأسلوب [3]

1 – سامح كريم، ماذا يبقى من طه حسين؟ ص148.

2 – ينظر المرجع نفسه، ص 148.

3 – ينظر مصطفى الصافي الجويني، أبعاد في النقد الأدبي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية(د.ط)،(د . ت) ص18.

ويظهر هذا من خلال تأثره بأستاذه "المرصفي"، ولاسيما في الحس اللغوي الصافي، والتذوق الأدبي، فالمرصفي إنما كان همه منصباً على لغة النص، والعمل على النقد اللغوي إلى الأعماق[1]، وهذا ما كان سائداً قديماً، فالناقد في ذلك العصر كان يحكم من خلال الحس والتذوق الأدبي .

- **النقد اللغوي:**

فطه حسين مطلع شبابه كان قديم المذهب في الأدب، فنقده لغوي لا ينظر منه إلا اللفظ، ويتحمل في اللفظ إلا بمكانه في معاجم اللّغة، فكان عيب المنفلوطي عنده أنه يبالغ في الاستعارة والتشبيه، فيضطر إلى أن يكون كلامه رثاً سخيفاً وأسلوبه ساقطاً، كما كان يضع الألفاظ في غير موضعها، ويصطنع ألفاظاً لم تثبت في "لسان العرب"، ولا في "قاموس المحيط"[2].

كما كان يحرص طه حسين على أن لا يفتن الناقد سحر اللفظ كيفما كان عن جودة المعنى، وحرصه كذلك على البعد عن الزخرف والصيغة، وهو ما جعله يتكلم عن التكلف في الشعر، وأنه قد يبدوا في القافية العسيرة، واصطناع اللفظ المهمل، والخروج عن قواعد اللغة، وبعد المعاني عن حقيقتها، وخير ما ينتهج من الأساليب فيما يدعوا إليه طه حسين، هو أن يتبع أسلوب تفكير صاحبه، لذا فهو يقول عن أسلوبه الخاص انه عبارة عن طريقته الخاصة في التفكير والإملاء، وأنه لا يحاكي فيه أحدا. [3]

أجمل طه حسين مقاييسه النقدية في البحث عن صحة المعنى، واستقامة وجودة اللفظ وارتفاعه عن الركاكة، هكذا هو طه حسين ناقداً لغوياً بحكم الفصيح والأفصح، فلغة الأدب حسبه

1 – ينظر أحمد علبي، طه حسين رجل فكر وعصر، دار الآداب، بيروت، (د.ط)، 1985م، ص156.
2 – ينظر طه حسين ،الأيام ج 3، ص31.
3 – ينظر طه حسين، حديث الأربعاء ج 3، دار المعارف، مصر، ط12، 1945م، ص22.

لابد أن تكون لغة صافية منتقاة تجري وفق قواعد اللغة الفصحى، لأن أي خلل قد يؤدي إلى تشويهها، ومن ثمة تشويه الأسلوب والنيل من رونقه وجماله.

- **النقد البلاغي:**

ويعد هذا الاتجاه من أهم الاتجاهات التي عرفها النقد العربي القديم، وقد تبنى هذا الاتجاه كثير من النقاد أمثال "الجاحظ، والقرطاجني، وغيرهم" ، واستمر هذا النقد في جميع العصور، وكان طه حسين من بين نقاد ذلك العصر الذين تبنوا هذا الاتجاه. [1]

ومفهوم النقد البلاغي هو ذلك النقد الذي يقوم على أسس بلاغية، معنى ذلك اتخاذ علوم البلاغة أساساً من أسس النقد، والناقد في هذا الاتجاه يحلل النصوص تحليلا بلاغياً، أي من حيث تشابه الاستعارة وغيرها[2].

ولقد كان طه حسين شغوف بالوضوح والبيان، فهو لا يحاول أن يستر معنى أو فكرة بستار أو غشاء، وما حاجة الوجه الجميل إلى الستر، فليس من عشاق الغموض بل انه لا يسرف فيه حبه للوضوح والجلاء إسرافا، فلهذا نراه يكثر التكرار، الذي يعرفه قراؤه، دون أن يدركوا له سراً، وقد يعده الناس من ضرورات النشر المنسجم[3].

فميل طه حسين وعشقه للوضوح والجلاء يفسر موقفه من حافظ في تقريظ "حديث القمر" للرفاعي: «غير أن لنا إلى الشاعر الكبير حاجة يريد أن يتفضل بها علينا، فإن سألوه عن أشياء في قصيدته أعجزنا فهمها والاهتداء إليها، كأنه قلد الرفاعي وذهب مذهبه في الغموض.

من ذلك قوله:

إذا قال شعراً فأكرم به وأكرم وأنعم إذا ما نثر

1 – ينظر حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، ص464.
2 – ينظر بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1963م، ص109.
3 – ينظر حلمي مرزوق ، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث،ص464.

فهل يجد الشاعر الكبير أصلحه الله في هذا البيت معنى حسناً يساوي العناء في كتابته ونشره وقراءته» [1] .

فهذا البيت إضافة إلى غموضه فهو يفتقد إلى كل جمال، نظراً لخلوه من كل معنى رائع أو تصوير بديع، فلا نجد إلا ألفاظاً مرصوفة وكلمات منظومة يتلوا بعضها بعضاً.

هكذا نرى "طه حسين" إذا تجاوزنا عن كثير من الغلو في الخصومة ناقداً بلاغياً، يأخذ الشاعر بالتشبيه أو الاستعارة في غير مكانها، أو يأخذه بقبحها أو بما شابه ذلك من مثالب البيان.

ب.مرحلة التجديد:

برز طه حسين حين كانت الحركة النقدية في نشأتها الأولى تحذوا حذو النقد القديم، لكن عملية التذوق تغيرت بعض الشيء بسبب تأثير الحياة الجديدة، التي تختلف كلية عن الحياة التي صورها الشعر العربي القديم، من هناك كانت الانطلاقة الذوقية وليدة هذا التغير، الذي أرساه العائدون من أوربا والمتأثرون بالجاليات الأجنبية، التي ابتدأت تفر إلى الأوطان العربية كمصر مثلاً.[2]

ومثلما وقف رفاعة الطهطاوي أمام مظاهر الحضارة الغربية مندهشاً مقارناً بين ما عرفه بيئته الشرقية المتخلفة، وما أطلع عليه في البيئة الغربية، وقف طه حسين كذلك مقارناً بين ما يسمعه من شيوخ الأزهر.

والملاحظ في هذه أن كثرة دعاة نبذ التقليد و الدعوة إلى التجديد، بعدما أحس الأدباء والمثقفون أن حياتهم الجديدة بحاجة إلى أدب يكون على صلة دائمة بالعصر،لقد أصبح الأدباء في مصر ينتهجون نهج المستشرقين في دراسة الأدب ويؤلفون المؤلفات على منهجهم ويعدون مثلهم

1 – حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، ص464، 465.

2 – ينظر كمال نشأت، النقد الأدبي الحديث في مصر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد،1983م، ص 17.

البحوث، بل إن ما بلغه بعضهم من زعامة في الأدب ما كان إلا بتأثرهم بالمستشرقين، وأول هؤلاء "طه حسين" فهو عصارة من ثمرات المستشرقين، درس على يدهم في الجامعة المصرية وتأثر بهم وهجر منهجه القديم في دراسة الأدب، ذلك المنهج الذي عرفه من أستاذه "السيد المرصفي" في أروقة الأزهر.

ج- شخصيات مؤثرة في فكر طه حسين النقدي:

فطه حسين مثال لمن تأثروا بالمستشرقين، ولكنه مثال واضح بذلك على مدى التأثر بهم في مناهجهم، وفي أفكارهم ونظرياتهم، فقد صرح "طه حسين" بقوله "وكيف نتصور أستاذاً للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بمن انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية حين درسوا تاريخ الشرق، وأدبه ولغته المختلفة؟ وإنما يلتمس العالم الآن عند هؤلاء الناس من علومنا وأدبنا وتاريخنا"[1].

ومن بين هؤلاء المستشرقين الذين تأثر بهم "طه حسين" وتركوا بصمات واضحة في فكره الأستاذ الايطالي"**كارلونالينو**" الذي كتب مجموعة من المقالات طبعتها مصر سنة 1904م.

إذ يعتبر نفسه تلميذاً لـ "كارلونالينو" الذي كان تأثره به شديد أيام دراسته الجامعية الأولى، خاصة في منهجه لدراسة تاريخ الأدب العربي القديم، حيث اعتمد طه حسين في دراسته على أن الأدب متصل دائماً ببيئته يؤثر فيها ويتأثر بها.

ويعبر طه حسين عن هذا قائلاً: «لأول مرة تعلمنا أن الأدب مرآة لحياة العصر الذي ينتج فيه، لأنه إما أن يكون صدى من أصدائها، وإما أن يكون دافعاً من دوافعها، فهو متصل بها على كل حال، وهو مصور لها على كل حال، ولا سبيل إلى درسه وفقهه، إلا إذا درست الحياة...التي

1 – طه حسين في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، د.ط، 1962م، ص 49.

أثرت في إنشائه والتي عاصرته فتأثرت به وأثرت فيه»[1]

ويعد "نالينو" أستاذه الأول الذي تعلم عليه، وفي هذا الصدد يقول "طه حسين" في المقدمة التي كتبها بعد ذلك معبراً عن الأثر الذي أحدثه أستاذه في الحركة النقدية في مصر، والتوجه الجديد في دراسة الأدب «إن دروس الأستاذ "نالينو" في الجامعة المصرية القديمة كانت هي الموجه الأول لنهضتنا العلمية في دراسة الأدب»[2] إضافة إلى ذلك أقر طه حسين ما كان للأستاذ "كارولونالينو" من أثر في تطور حياته العقلية، وفي تصوره للأدب العربي قراءة وفهماً وإنتاجاً... فالدروس التي كان يلقيها "نالينو" أحدثت في نفسه أعمق الآثار وأبعدها مدى، وطبعت حياته العقلية بطابع النقد الحديث.

وهذا لا يعني أنه جحد الدور الذي لعبه المصريون في إحداث التغيير في النهضة المصرية، بل إنه يجعل حياته العقلية كلها مدينة لأستاذين عظيمين "سيد بن علي المرصفي" ، و "كارلونالينو" على حد قول طه حسين « وأما أنا فقد سجلت غير مرة وأسجل الآن أني مدين بحياتي العقلية كلها لهذين الأستاذين العظيمين سيد علي المرصفي، الذي كنت أسمع آخر النهار، أحدهما علمني كيف أقرأ النص العربي القديم وكيف أفهمه، وكيف أتمثله في نفسي، وكيف أحاول محاكاته وعلمني الآخر كيف أستنبط الحقائق من ذلك النص، وكيف ألائم بينهما، وكيف أصوغها آخر الأمر علما يقرؤه الناس فيفهمونه ويجدون فيه شيئاً ذابالٍ».[3]

وفكر طه حسين نفسه مزيج قوي من حضارتين متصارعتين مختلفتين، حضارة الشرق وحضارة الغرب، وعصارة طيبة من معهدين مختلفين "الأزهر الشريف"، و "جامعة باريس" أصوله

1 – علي لطرش، الخطاب النقدي الاجتماعي وموقفه من التراث العربي، أطروحة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2007م، ص56.

2 – المرجع نفسه، ص57.

3 – طه حسين، تاريخ الآداب العربية، دار المعارف، مصر، ط2، 1970م، ص11.

ما برحت راسخة في ثقافة الأزهر نستخلص منها عناصر غذاء لا غناء، ولكن فروعه تسامت في حضارة الغرب، يتسم منها الهواء ويستمد منها النور، وهذا الاحتكاك بين الحضارتين العظيمتين الغربية بميادينها والشرقية بروحانيتها لا بد من أن ينتج عنه فكر جديد هو نفس الفكر الذي عاد به طه حسين من أوربا[1]، فبدأ يقيم التراث العربي بالمنهج الديكارتي في البحث، فكر حر عليه الكثير من المعارك، وخاض به أكبر المعارك.

كذلك فإن اختيار الدكتور طه حسين للمنهج الديكارتي في البحث له أكثر من دلالة...فهذا المنهج كما يقول صاحبه ديكارت : «قواعد مؤكدة تعصم ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ، وتمكنه من بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته دون أن يستنفذ قواه في جهود شائعة...» [2]

وبالتأكيد هذا المنهج يتمشى مع روح طه حسين في نظرته للأشياء، هذا إلى جانب إعجابه الشديد ببداية ديكارت حيث مثل بدوره تجسيداً لقيم النهضة الفكرية الأوروبية، ومن هذه الزاوية يمكن التقريب بين الاثنين[3].

كذلك هناك شبه آخر يجمع الاثنين طه حسين وديكارت، في أن كلا من الاثنين كان يحارب جهالة العصور الوسطى، ممثلة في المتزمتين والمتعصبين، وهذا الاتجاه بعينه هو الذي تبدأ به الحياة الفكرية القائمة على العقل لدى أي قطب من أقطاب النهضة الفكرية في أي مجتمع[4].

فلا يكاد يستقيم من المعايير التي اصطنعها طه حسين في دراساته النقدية إلا النزعة التأثيرية، التي تلتئم مع طبيعته الفنية، وهذه النزعة قديمة عند العرب تقوم على العلم بالشعر، وليس

1 – ينظر سامح كريم، ماذا تبقى من طه حسين، 146.
2 – المرجع نفسه، ص146.
3 – ينظر المرجع نفسه، ص146.
4 – ينظر المرجع نفسه، ص147.

في وسع الناقد شيء من هذا القبيل، إلا إذا وقع على سير العربية، واستكشف روح اللغة، وذلك ما لا يستطيع ناقداً أن يأتي طه حسين من جهته على الرغم مما أثير حوله.[1]

ولقد استفاد طه حسين من العرب فائدة ليس فيها شك وهذه الفائدة لا تتضح فقط في أسلوبه وفكره ونقده، لكنه لم يتنكر للأدب العربي في قراراته وإنما ألبس قواعده لباساً ظاهراً من النقد الأوروبي، وهذه ميزة الروح العلمية، فطه حسين قديم جديد في أحكامه المجزئة[2].

فطه حسين ناقداً ذواقاً يثور على القوانين والنظم، الأهم عنده أن يقول ما يمليه عليه ضميره فقد أعلن على الناس آخر أيام حياته أنه قاض لكن بدون قانون.

وهكذا يتسع طه حسين في معنى النقد محاولاً أن يقربه إلى العلم وأن يأخذ فيه بمناهجه، حتى إذا كان عام 1914 أخرج للناس رسالته عن أبي العلاء المعري ،التي نال بها الدكتوراه فكانت فتحاً في هذا الباب، ذلك بأنها أقامت النقد على بعض المناهج العلمية، التي اصطنعها الأوروبيون محاولين أن يمزجوا فيها بين النقد والعلم متأثرين بالبحوث المتطورة في ميدان العلوم التجريبية والطبيعية والبيولوجية، حيث حاولوا إدماج مناهجها في الأدب والدراسة النقدية[3].

وعلى رأس هؤلاء النقاد الأوربيين الذين سنجد صداهم في كتابات "طه حسين" ثلاثة نقاد أساسين هم "سانت بيف" ، "تين"، "برونتير"، بحيث كان لكل ناقد من هؤلاء نظريته الخاصة به، إلا أنهم يشتركون جميعاً في المنهج التاريخي الذي يرى الإنسان بمواهبه ومعنوياته، إن هو إلا أثر من آثار البيئة بمعناها الاجتماعي الواسع، لا يكاد يفترق عن الحيوان أو النبات[4].

1 – ينظر حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي، ص389.

2 – ينظر المرجع نفسه، ص940.

3 – ينظر المرجع نفسه ، ص467.

4 – ينظر علي لطرش،الخطاب النقدي الاجتماعي وموقفه من التراث العربي، ص59.

وسنسلط الضوء على هؤلاء النقاد الثلاث الذين يعتبرون من الأوائل الذين نظروا لمفهوم الانعكاس في الأدب، حيث كانت آراؤهم ومناهج دراستهم الركيزة الأولى في تكوين منهجه النقدي.

- **سانت بيف :**

حاول سانت بيف أن يدرس شخصية المبدع، مركزاً على ثلاثة أبعاد أساسية تكون هذا المبدع وهي: الملمح أي تكوينه الفيزيولوجي، والكتابة، ويعنى بها تكوينه الثقافي، والسيرة أي حياة الكاتب، وقد ركز "طه حسين"، على هذه الأبعاد الثلاثة في دراسته لأبي العلاء المعري، مسلطاً الضوء على العامل البيولوجي، ومزاج وثقافة أبي العلاء، وهذه الصورة المزاجية التي استخرجها طه حسين عن أبي العلاء هي ما يسميه بيف "قسمات النفس"[1].

برونتير : حاول أن يتأثر في دراسته الأدبية بالعلوم البيولوجية، والطبيعة، وخصوصاً نظرية التطور عند داروين، حاول برونتير أن يدرس أيضاً تطور الأجناس الأدبية من خلال الصراع والبقاء الأنفع ، وقد تأثر "طه حسين" بهذه النظرة وأصبح الأدب عنده صراعاً بين الأنفع وغير النافع. [2]

تين : هكذا وسع تين ميدان النقد الأدبي في القرن التاسع عشر، وأسهم في تخليص النقد من " الفلسفة الذوقية الضيفة" على حد تعبير دادون.

وأدخل فيه هذه الدراسات المختلفة التي ترتد في جملتها إلى العناصر الثلاثة البيئة، والجنس أي العرق الذي ينتمي إليه الأديب، واللحظة التي يعني بها الفترة التاريخية التي ظهر فيها الأديب، وأخيراً البيئة بمعنى المحيط الجغرافي للأديب le milieu– le moment la race [3].

---

1 – ينظر أبا عوض، الحركات الفكرية في العالم العربي الحديث، دار الثقافة، دار بيضاء، (د.ط)، 1983م ص30

2 – ينظر المرجع نفسه، ص285.

3 – ينظر حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، ص468.

وهكذا اشتط تين في هذا الاتجاه حتى أصبح من رواد الحتمية التاريخية أو الجبر التاريخي الذي أخذه "طه حسين" عن أساتذته، والمستشرقين في الجامعة وأدار عليه بحثه في أبى العلاء، يقول: "يدل ما قدمناه على أن نرى الجبر في التاريخ أي أن الحياة الاجتماعية إنما تأخذ أشكالها المختلفة، وتنزل منازلها المتباينة بتأثير العلل والأسباب، التي لا يملكها الإنسان ولا يستطيع لها دفعاً، ولا اكتساباً، وذلك رأي نراه سنثبته في موضعه من الكتاب... ولسنا نبتدع هذا الرأي وإنما نوافق فيه الكثير من فلاسفة أوروبا، وفلاسفة المسلمين"[1] "فطه حسين" في هذه الفترة يلتزم بالمنهج التاريخي، فتلك حدوده وأصوله، لا يكاد يتزحزح عنها إعجاباً به وإكباراً لشأنه، فهو يصطنع ألفاظه ومصطلحاته فيقول مثلاً « إن التاريخية أو القصيدة الشعرية والخطبة يجيدها الخطيب والرسالة ينمقها الكاتب الأديب... نسيجاً من العلل الاجتماعية والكونية يخضع للبحث والتحليل خضوع المادة لعامل الكيمياء».[2]

فطه حسين ينظر إلى تحليل الأدب هو قريب من نظرة العالم التجريبي وحسبنا شاهداً جامعاً يدل على هذا المنهج في الكتاب كله قوله: « تدل المقابلة الأولى على أن الحياة العامة في عصر أبي العلاء لم تكن شيئاً تطمئن إليه النفس أو يرضى به الرجل الحكيم لفساد ما كان فيها من سياسة وخلق ومن تقسيم ثروة وتأثير دين وتدل المقالة الثانية على أن الحياة الخاصة لأبي العلاء لم تكن خيراً من الحياة العامة... وعلى أن الرجل قد أحسن الدرس وأجاد التعليم ورحل على مدن مختلفة، وأقام في بيئات متباينة، وكان له قلب ذكي وأنف حمي... فهذه المؤثرات كلها قد اشتركت

1 – حلمي مرزوق تطور النقد والتفكير الأدب الحديث، ص469.

2 – أبا عوض، الحركات الفكرية والأدبية في العالم العربي الحديث،ص284.

في تأليف التراث الأدبي لأبي العلاء، فإذا وصفنا هذا التراث كان لمن الحق علينا أن نحلله على عناصره، ونرده على مصادره ونحن فاعلون إنشاء الله ».[1]

ونستنتج أن طه حسين يأخذ بالجبر، التاريخ، وبأن الفرد نتاج عصره وتعبير عنه، ولهذا وجدنا طه حسين يستفيض في وصف أبي العلاء، ويشتط في هذا الوصف كما أن الفرد تتوالى عليه الخطوب لا محيد لها عنها، فيكون نتاجه إذا كان أدبياً صورة فنية لهذه المكابدة، لذلك نجد "طه حسين" يعرض لحياة أبي العلاء بإسهاب وتفصيل.[2]

إلا أن طه حسين لا يلبث أن يسافر إلى فرنسا، ثم يعود منها ثائراً بهذا المنهج الجديد لجفافه ولجفائه، ذلك أن تاريخ الأدب لا يستطيع أن يعتمد على مناهج البحث العلمي، الخالص وحدها، وإنما هو مضطر معها إلى الذوق.[3]

فمؤرخ الأدب يعول على شخصيته وذوقه يقول "طه حسين" في هذا الصدد « وهبه استطاع أن يبرأ من ذوقه ومن شخصيته، وأن يعالج أثار الأدباء كما يعالج صاحب الكيمياء عناصره في معمله، فأول نتيجة لهذا أن يصبح تاريخ الأدب جافاً بغيضاً». [4]

ويقول موضحاً أكثر فكرته: «أريد أن أدرس شعر أبي نواس فأنا مضطر أول الأمر أن أبحث عن هذا الشعر، ولهذا البحث المنظم قواعده وأصوله فإذا وجدت هذا الشعر، فأنا مضطر إلى أن اقرأه وأحقق نصوصه، وأقارن مقارنة علمية دقيقة بين النسخ التي تشمل عليه، فإذا استخلصت من هذه النسخ المختلفة، والنصوص المتباينة نصاً انتهى عليه بحثي واختياري فأنا مضطر إلى أن أقرأ هذا النص قراءة الباحث المنقب، الذي يريد أن يفهم ويحلل ويستخلص ما في

1 – طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، مطبعة المعاهد، مصر،ط2، 1922م، ص191.
2 – ينظر أحمد علبي، طه حسين رجل فكر وعصر ،ص343.
3 – ينظر حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، ص470.
4 – أحمد علبي، طه حسين رجل فكر وعصر ، ص344.

هذا الشعر من خصائص لغوية أو نحوية أو بيانية، فيستكشف النص وحقيقته وفسرته واستخلصت خصائصه ومميزاته مستعيناً في هذا كله بهذه العلوم المختلفة... فإذا فرغت من هذا كله فقد انتهى القسم العلمي الخالص من عملي كمؤرخ للأدب، وبدأ القسم الفني الذي اجتهد ما استطعت في هذا أن أحقق بتأثير شخصيتي فيه، ولكني أعمدت فيه سواء أردت أم لم أرد على الذوق وهذا هو النقد فمهما أحاول أن أكون عالماً ومهما أحاول أم أكون موضوعياً، إن صح التعبير، فلن أستطيع أن أستحسن القصيدة من شعر أبي نواس، إلا إذا لائمت نفسي ووافقت عاطفتي وهواي... أنا إذن عالم حين أستكشف لك النص وأضبطه وأحققه وأفسر مواضع الجمال الفني من هذا النص».[1]

وهكذا تلتقي عنده الذاتية والموضوعية أو تلتقي معه النزعة العلمية بالنزعة الأدبية أو الفنية،التقاء تداخل وامتزاج يقول: «فأنت ترى أن تاريخ الآداب منقسم بطبعه إلى هاذين القسمين: القسم العلمي والقسم الفني ولكن هذين ليس متميزين»[2] وهذا التداخل أو الامتزاج هو سمة من سمات(البحث العلمي الفني) على نحو ما يسميه.

وهكذا نرى "طه حسين" بعد عودته من فرنسا يميل عن الجفاف العلمي إلى الرقة الأدبية، إلا أن في هذه المرة كان يحتقب جملة من الأصول الفنية التي اتخذها معيار النقد ومحكاً للقيم الأدبية كالصدق الفني وحرية الأديب وما شابههما.[3]

1 – طه حسين ، في الأدب الجاهلي، ص 52، 53.

2 – حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، ص470.

3 – ينظر المرجع نفسه 470.

الفصل الثاني: نماذج من خطاب طه حسين النقدي

1- قضايا نقدية من بعض كتبه

أ- خصام ونقد

ب- تقليد وتجديد

ج-حديث الأربعاء

2-معارك طه حسين النقدية

أ-المنفلوطي

ب- الرافعي

ج- العقاد

د- سلامة موسى

1- قضايا من بعض كتب طه حسين النقدية

1-خصام ونقد :

دائما ما يستشعر المثقف الحقيقي المسؤولية اتجاه أمته و قضاياها فيعمل على عرض مشكلاتها و التنبيه لخطورتها ثم اقتراح الحلول اللازمة لازالتها و هو الأمر الذي فعله الأديب الكبير طه حسين طوال حياته، فالأدب عنده هو الحاضن لتراث الأمة و مصدر هام لدراسة تاريخها و هذا الكتاب ينبهنا إلى العقبات التي تواجه الأدب العربي كغياب الحريات و ما أصاب التعليم و ضعف في الإنتاج الأدبي، و نحن بدورنا اخترنا قضية مهمة جدا من قضايا الأدب و هي قضية محنة الأدب.

قضية محنة الأدب:

فطه حسين مستاء جدا حول ما وصلت إليه حياتنا الأدبية، من ركود و خمود و ندرة في الكتب القيمة فأصبح يمر العام دون أن يظهر كتاب واحد فضلا عن كتابين أو ثلاثة كتب، وتمر الأسابيع و الشهور دون أن نقرا في صحيفة يومية آو أسبوعية فصلا أدبيا ذابال، إلا ما نجده في المجالات الشهرية، و لكن شيء يسير لا يكلف صاحبه عناءًا طويلاً، كما لا يكلف قارئه جهدا كبيرا، وكما تنشر فصولا قصيرة و تكون لغتها يسيرة و سهلة أما موضوعاتها أسهل و أيسر من لغتها[1].

فهو يرى أننا قوم مترفون لا نريد أن نشق على أنفسنا حين نقرأ أو نكتب،و أحب شيء إلينا أن نقرا المقال ثم ننساه،فقد دخل علينا السأم و قد أصبحنا نمر على الأشياء،مرا سريعا و كثيرا ما نقرا لنقطع الوقت و لندعو النوم لا لنغذي العقل و القلب و الذوق[2]، رحم الله تلك الأيام التي كنا

1- ينظر طه حسين، خصام ونقد، دار العلم للملايين، لبنان،ط 11، 1983 م، ص5.

2- ينظر المصدر نفسه، ص5،6.

نرى فيها الوقت قصيرا سريع الحركة،و نتمنى لو تضاف إلينا ساعات من الليل و النهار لنقرأ و نطيل القراءة وندرس فنحسن الدرس، رحم الله أياما كانت الصحف اليومية و الأسبوعية تتنافس أيُهما يكون أشد عناية بالأدب، رحم الله أياما كنا نشغل فيها بهذه الكتب الكثيرة التي تعرض للأدب و النقد ولفنون الحياة[1].

رحم الله تلك الأيام فقد مضى و انقضى عهدها و مازال كثير من أصحابها أحياء لا ينظرون إليها إلا ملتفتين إلى وراء لأنها بنت لهم مجدا و جعلتهم من قادة الرأي فويل لهؤلاء الشيوخ، إن لم يكن لهم من الشباب جيلا يقف على أثرهم و يتنافسون في التفوق عليهم و ينتجون من الأدب الرفيع ما لم ينتج هؤلاء الشيوخ، و يؤلفون كتبا خيرا مما ألفوا في الأدب و النقد على أثار هذه الأجيال، فلا أكاد أجد منها شيئا[2].

فتوصل طه حسين إلى أن لهذا الكسل في الأذهان و في القرائح أسباب ثلاثة لا رابع لها، و أول هذه الأسباب يأتي من ظروف سياسية كالإعلان عن الأحكام العرفية في مصر سنة 1939 م، و الانقلابات السياسية التي كان لها الأثر على حرية التفكير و التعبير فلا تقل خطرا من الأحكام العرفية بحيث نستطيع أن نقول أننا حرمنا الحرية أكثر من خمسة عشر سنة في أقل من ربع قرن و الحرية هي قوام الحياة الأدبية الخصبة[3].

أما السبب الثاني هو أن كثرة الشباب يكتبون ثم لا يعرفون كيف يظهرون الناس على ما يكتبون: أي أنهم لا يجدون تأييدا و لا تشجيعا من طرف شيوخ الأدب كما لا يجدون إقبالا من طرف الناشرين لأن الناشرين لا ينفقون مالهم إلا حين يعلمون أنهم سيعود عليهم ببعض الربح ،و قد يكلف الكاتب الشاب طبع كتابه على نفقته الخاصة فيتحمل في ذلك من الجهد و المشقة ما

1- ينظر طه حسين، خصام ونقد، ص5،6.
2- ينظر المصدر نفسه، ص7.
3- ينظر المصدر نفسه، ص 8،9.

يطيق و ما لا يطيق و للجيل الناشئ على الجيل الذي سبقه شيء من الحق ، فليفكر شيوخ الأدباء بما يكتبون فحسب و إنما يرضونه حين يكتبون و حين يمكنون الشباب من أن يكتبوا و يقرأهم الناس و يخلفونهم على مكانتهم بعد وقت يقصر أو يطول. و لا يقل السبب الثالث خطرا على السببين السابقين ولعله يكون أشد منهما امعانا في الشر واساءة في الأدب، ذلك هو ضعف التعليم في مصر، ففي مصر مدارس وجامعات يدرس فيها الأدب ولكنه يدرس على نحو يحزن أكثر مما يسر[1]، فليقل أساتذة الأدب في مصر ما يشاءون وليعللوا ضعف إنتاجهم بما يشاءون فإنتاجهم ضعيف لا شك في ذلك، وهل يصدقني أساتذة الجامعات إن قلت لهم إني عرفت طلابا ظفروا بإجازة الليسانس من أقسام اللغة العربية، ولم يعرفوا كيف يبحثون في كتاب الأغاني، و أظن أن أحدا لا يجادلني في أن أول ما يجب على الكاتب المصري إنما هو أن يحسن العربية.

وإني ليحزنني أن أقول أن كثيرا من كتابنا يرون أنفسهم كبارا يتورطون من هذا كله في شر عظيم، إذن فالظروف السياسية تحد حرية الأديب،والظروف المالية تحول بين الشباب وبين العلم باللغة التي هي المادة الأولى للأدب، فكيف تريد بعد هذا كله أن تكون الحياة الأدبية المصرية خصبة مشرقة؟....[2]، وفي الأخير يحث طه حسين الشباب على التعاون جميعا على حماية الحياة الأدبية من آفاتها وإبرائها من عللها، وأن ترد للأدب شبابه القارح فالأدب الذي يفقد شبابه لا خير فيه.

1- ينظر طه حسين، خصام ونقد، ص12/10.

2- ينظر المصدر نفسه، ص12،13.

ب-تقليد وتجديد:

- **قضية القراءة:**

يقدم طه حسين في متابعاته الأدبية، قراءات ممتعة في الأدب الغربي والعربي على السواء، كانت تسعى إلى تحقيق مرام وغايات نقدية تصب كلها في تقريب الأدب من المتلقي وتحفيزه على قراءاته وتستند هذه القراءات على إستراتجية نقدية تبنى على آليات فنية ونقدية وتحمل سيمات جمالية.

لذا نجد عميد أدبنا متشائم مما وصل إليه شبابنا اليوم من استسهال للأدب، فهو يصف هذه الحالة بظاهرة خطيرة، توشك أن تكون شرا يلاحق الحياة الأدبية، فسرعة العصر كما يرى طه حسين دفعت شباب اليوم إلى أشياء كثيرة، منها سرعتهم في القراءة وسرعتهم في الفهم، فطه حسين حذر هذه الفئة من القراءة السطحية والسريعة، لأن لهذه الأخيرة آليات تعتمد عليها فالأدب والنقد لم يأتوا من العدم، فهو يقول في هذا أي في سرعة القراءة عند الشباب أنهم حريصون أشد الحرص على أن يبلغوا من بعد الصيت وارتفاع المنزلة في الأدب قبل أن تؤهلهم جهودهم، وقبل أن تمكنهم ألسنتهم من الوصول إلى هذه المنزلة، أو إلى هذا المركز، فهم يتصورن الأدب تصورا أقل بمعناه الصحيح فكل كلام يكتب أو ينشر يسمى عندهم أدبا، وهو عندهم الأدب الرفيع وكل نقد سواء كان صادقا أو غير صادق، دقيقا أو غير دقيق يمكن أن يسمى عندهم نقدا وكل ما يستعصي عليه فهمه أو يشق عليهم تذوقه يعتبر عندهم قديما مبتذلا، و الأدب الذي يفهم من غير تكلف ومن غير مشقة والذي لا يحتاج قارئه إلا أن يمر على حروفه وألفاظه ليفهمها هو عندهم الأدب الذي يلائم الحياة الجديدة ويلائم التطور والعصر الجديد،[1] فطه يقول في هؤلاء الشباب أنهم يريدون أن يعطوا إجازة إن صح التعبير لملكاتهم التي خلقت لتفهم وتتأنى في الفهم

1- ينظر طه حسين، تقليد وتجديد، ص 19.

وتنتج وتستأني في الإنتاج، ولتصل من الأشياء إلى حقائقها وأعماقها قبل أن تتحدث عنها، وقبل أن نحاول نقلها إلى غيرهم من القراء[1]. فطه حسين يريد من كل هذا بأن يقنع الشباب بأن الحياة التي يحيونها والتي يفرضونها على عقولهم وملكاتهم جديرة ألا تنتهي بهم إلى شيء وإنما هي جديرة أن تنتهي بهم أن يصبحوا أشبه بشيء بالببغاء، يحاكون ويقلدون ويظنون أنهم مجددون ومبتكرون.

ج- حديث الأربعاء

- **قضية الذوق الأدبي:**

يقول طه حسين في كتابه حديث الأربعاء حول الذوق الأدبي « شديدا جدا حرج هذا الموقف الذي يضطر إليه الصحفي، إذا أراد أن يكون حرا، وإذا أراد أن يقدر حرية غيره فيبيح صحيفته لنقد الناقدين واختصام المختصمين شديدا جدا حرج هذا الموقف لأن الناس لا يقدرون حريتهم وحرية غيرهم كما ينبغي، وهم يسرفون إذا اكتالوا ويطففون إذا كانوا يرون لأنفسهم الحق في كل شيء أن يقولوا ما يشاءون وفي أن يسبوا ما يشاءون وينكرون على غيرهم كل شيء»[2].

يرى طه حسين أن الأدباء هم أحق الناس أن يكونوا مؤدبين، ولكن الله أبى إلا أن يبتلي الناس في الأدب كما ابتلاهم في السياسة وفي الأخلاق، وهذا ما حدث في مقال صادق الرافعي الذي كان يدافع عن أسلوبه بالعتب، فهذا الأخير لا يهنأ له بال في الدفاع عن نفسه إلا بالشتم واستصغار الخصم، وفي هذا الصدد يرد طه حسين بأن النقد شيء والشتم شيء آخر، لأن الذوق قد تغير في هذا أيضا كما تغيرت الأساليب الأدبية، فالناس لا ينقدون بعضهم بعضا الآن كما كان يحدث بين جرير والفرزدق منذ أحد عشر قرنا لأنه لا يباح الإسراف في الحرية الصحفية

1- ينظر طه حسين، تقليد وتجديد، دار العلم للملايين،ط1، 1980م، ص19.

2- طه حسين، حديث الأربعاء ج3، ص14.

حتى لا يضطر الصحفي إلى أن ينشر السب والشتم ويخرج بذلك عن طور الأدب[1]، كما حدث مع الأستاذ صادق الرافعي الذي عاتبه طه حسين فيه بقوله: «وهب أن الذوق تغير»[2]، ولكن طه حسين لا يريد أن ينازع الأستاذ ولا يطيل في جداله وإنما أراد أن يلفته بأن اللّذين يؤثرون الأسلوب القديم ويتكلفون ويزدرون الأساليب الحديثة ويمقتونها أحرياء ألا يتكلفوا هذه الأساليب إلا مجددين مجتنبين مواضيع الشبه مؤثرين فصحيح القول على ركيكه[3] .

فطه حسين يريد أن تكون الأساليب صادقة سهلة حلوة يشعرون الناس بها ويفهمونها ويتذوقونها، كما تكون بريئة من تكلف الرياضة وبريئة من تكلف الفلك،لأن الذوق عنده واحد وعام لا يتغير بتغير من تتحدث إليه، وقد تختلف الرسائل عسرا ويسرا باختلاف العلماء للعلماء والأدباء للأدباء، ولكن ذلك شيء واختلاف الذوق الأدبي شيء آخر، فأدباء أوروبا مثلا يتحدثون بعضهم إلى بعض ويتحدثون إلى جمهور الناس بالفرنسية والانجليزية وغيرها فلا يختلف الذوق الأدبي باختلاف القراء، وإنما يؤثر الوضوح والجلاء حينا فيطنبون ويسهبون ألفاظا ألفها الناس والذوق هو الذوق والكتابة هي الكتابة وروح العصر الذي يعيشون فيه هو هو، فطه حسين يريد أن يفهمه الناس كما يفهمهم هو، فالناس نتحدث إليهم بلغة الناس، أما إذا تحدثنا إلى الأدباء أمثال الأستاذ تحدثنا إليهم بلغة الناس [4].

وليسمح لنا الأستاذ إلى أن نلفته إلى شيء ذابال و هو أن الأدباء الذين (يقدرون أنفسهم) لا يكتبون إلا وهم مفكرون في أن ما يكتبون له قيمة، فهو خاص اليوم ولكنه عام غدا، فخليق بالأديب الذي يفكر في هؤلاء الناس وأن يكون من السهولة ومراعاة الذوق الأدبي، وأن لا يعجز

1- ينظر طه حسين،حديث الأربعاء، ج3، ص14.
2- المصدر نفسه، ص15.
3- ينظر المصدر نفسه، ص 16.
4- ينظر المصدر نفسه، ص 15، 16.

الناس عن فهمه.وفي الأخير ينبه طه حسين الأستاذ فيقول له لك سيدي الأستاذ أن تناقش وتجادل عن رأيك بشرط أن تلتفت إلى شيئين أحدهما لين القول والرفق فيه وثانيه أن "السياسة"حرة تنشر ما يصل إليها من الرسائل متى شاءت وحين تشاء، فإن لم يرقك هذا الشرطان فنحن آسفون والصحف في مصر كثيرة والسلام. [1]

2- معارك طه حسين النقدية:

تعتبر المعارك الأدبية حقلا واسعا لتبادل الأفكار وعاملا مهما لتعميق وتصحيح بعض المفاهيم والآراء الخاطئة وبرغم من المشاحنات التي تميزها فإنها تمثل خلافا لذيذا كما يؤكد ذلك طه حسين، فهي ليست ناتجة عن عامل الحقد أو تضارب المصالح الشخصية وإنما هي ناتجة عن حيوية التفكير وحب التغيير في الحياة الأدبية.

وتعود بداية هذه المعارك الحديثة إلى بداية الاتصال بالحضارة الغربية فحدث تصادم بين الحضارتين والسبب في ذلك اختلاف البنى الثقافية وفضلا عن هذا الاتصال ظهر شباب مثقفين درسوا الآداب الغربية وتأثروا بها ودعوا إلى ضرورة الأخذ بها، وتجاوزوا بعض المعايير والمفاهيم الأدبية المتوارثة، ولقد كانت لهذه المعارك دورا إيجابيا في الحركة الفكرية والأدبية لأنها ساهمت في طرح العديد من القضايا الأدبية واللّغوية، وأدت إلى بروز الكثير من المفاهيم والمعتقدات والتصورات النيّرة، والتي أنتجت فيما بعدها هاجس الأدب العربي الحديث[2].

ويعدّ طه حسين طرفا أساسيا ضمن هذه المعارك نظرا إلى طبيعته الثائرة على التقليد ورغبته الشديدة في التجديد.

1- ينظر طه حسين، حديث الأربعاء، ج3، ص 17، 18.

2- ينظر علي لطرش، سلامة موسى ناقدا،رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،1992م،1993م، ص192،193.

ولعلّ أهم المعارك التي خاضها طه حسين كانت ضد الكاتب الكبير في زمانه الأستاذ "مصطفى لطفي المنفلوطي"، والأستاذ "صادق الرافعي" و"العقاد" و"سلامة موسى" وغيرهم، فقد انشبت نار بين طه حسين وبين هؤلاء وذلك نظرا لاختلاف المخزون الثقافي لكل منهما.

أ-**المنفلوطي:** وارتأينا أن تكون بداية هذه المعارك بالهجوم العنيف الذي هاجمه طه حسين ضد المنفلوطي عام [1876 -1924].

ويذهب الكثير من دارسي الأدب أنّ سبب شهرة طه حسين مبكّرا هو هجومه على الكاتب الكبير" مصطفى لطفي المنفلوطي" وسبب ذلك تعقب طه حسين ذلك الفتى الأزهري النّاشئ للسقطات اللغوية التي يقع فيها المنفلوطي وسخريته منه ونقده بأسلوب أشبه بأسلوبه، وكانت بداية هذا الهجوم ابتداء من شهر أبريل "1915" في جريدة "الشعب" تحت عنوان "نظرات في النظرات"، وهو نقد لنظرات المنفلوطي والتي توضح مذهبه في الأدب، فاتّهم هنا طه حسين المنفلوطي بالجهل والسرقة الأدبية و تضليل القراء، وكان ذلك في مقال نشره في جريدة "الشعب" فعدّد له عيوبه فكانت أولها أنّ المنفلوطي شغوف كل الشّغف بذات غيره، أما عيبه الثاني منكر كل الإنكار لذات غيره فالسرقة في كتابه شائعة شيوعا فاحشا وعذره في ذلك قلّة المادة و ضيق الحظيرة، أمّا عيبه الثالث فيتمثل في إبعاده للناس كل البعد عن الحقيقة فأحبهم بذلك في اصطناع الخيال[1].

أمّا العيب الرابع أنّ لصاحب النظرات المنفلوطي ومعاني تشغفه كلّ الشغف فلا تزال تردّد في كتابه حتّى تعافها الطباع وترفضها الأسماع حتّى أطلق عليه بعض الأساتذة صاحب النظرات (لأياما) لتردّد هذه الكلمة في كتابه حتّى لا يخلو منها مقال، أمّا العيب الخامس والسّادس هو شغفه لجودة العبارة، وحسن الإشارة حتى يكون كلامه فخما سهلا، وخفيفا جزلا وأن يكون أسلوبه

1- ينظر سامح كريم ، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص294.

راقيا ولفظه رشيقا، وهذا التكلف يجعل كلامه رثّا غثّا وأسلوبه ساقطا مبتذلا،أما العيب السابع والثامن أنّ أبى العلاء الثاني مولع بكاذب العناوين وساقط الألقاب وأنّ أبى علينا ذلك في لزوماته كل الأدباء، فلو قرأت ما اشتمل عليه الكتّاب من ضخام الألقاب الخاصة والعامة فلاسفة العرب جميعا لا أحاشي منهم أحدا فلست أعرف بينهم من استطاع أن يكتب جميع الفنون التي كتب فيها فيلسوفنا الحكيم من اجتماع ودين وأخلاق وقصص وسياسة وعلم وغير ذلك، لكن وأسفاه طه حسين يهاجم المنفلوطي حتى قيل في وقتها أنّ طه حسين لن يسكت إلا إذا ردّ عليه المنفلوطي، لكن المنفلوطي لم يرد...وإنّما اكتفى بردّ قلم عشاق أدبه في صفحات المؤيد، وهكذا استمرت الخصومة بين طه حسين والمنفلوطي حتى وفاه الأجل في عام [1964][1] .

غير أن طه حسين ندم بعد ذلك على ما فعله فيه، وكتب في أجزاء" الأيام" ما يشير إلى ذلك لأنه كان شابا يريد الشهرة على حساب كاتب عملاق ومعروف فأفرط في نقده له.

ب-الرافعي: ومثلما هاجم طه حسين المنفلوطي ونقده وجّه كذلك انتقادات أخرى لأساتذة آخرين أمثال "صادق الرافعي" الذي لم يكن على علاقة طيبة معه، وكان من الطبيعي أن تدور معارك بين الأستاذ "مصطفى صادق الرافعي "و "طه حسين"، الأول يمثل المدرسة القديمة بكلّ أصولها والثاني يمثل المدرسة الحديثة بكلّ سماتها[2].

ويمضي طه حسين في مسألة "القديم والجديد" ويؤكد للرافعي أنّ الأدب العربي كان دائما صورة لعصوره المختلفة، وأنّ الكتّاب في كلّ عصر ارتبطوا بواقعهم وعبّروا عن حاجات عصرهم، وجددوا في الأغراض واللّغة، وأدخلوا فيها أشياء وأساليب وطرائق لم تكن من قبل، ويعتبر طه حسين هذا التطور حتميا وطبيعيا في اللّغة والأدب ولولاه لما استطاعت اللّغة أن تساير النمو

1- ينظر سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص294-295.

2- ينظر محمد الدسوقي، طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1982 م، ص88.

الحضاري في المجتمع العربي، كما يرى طه حسين أنّ الرافعي أخطأ مرتين في قوله أنّ المذهب الجديد قائم على جهل أصحابه باللغة العربية والانحراف عن أساليبها والثانية في رمي أصحابها بالزندقة وفتور إحساسهم وضعف الإيمان بالإسلام.

كما يؤكد طه حسين أن المذهب الجديد ليس قائما على جهل أصحابه با اللغة العربيَة وأصولها كما يزعم الرافعي، وإنما هو قائم على الفهم والوعي والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية والأدبية [1]، إضافة إلى هذا السّبب هناك أسباب أخرى دار حولها الخلاف بين هذين الأديبين تمثلت في الرأي، الأسلوب، الفهم، الأدب، الدين وغيرها.

اشتدت الخصومة بين العميد والرافعي حول قضية الأسلوب أثارتها رسالة في العتاب كتبها الرافعي لأحد الأدباء وبعث بها لجريدة السياسة لتكون نموذجا من القول على حد تعبير الرافعي وقدم لها بقوله: « وقد كتبتها من النمط الأول الذي هو فن من زينة البلاغة العربيّة ويشبه بعض فنون الزخرف والتنسيق، وهو حين يكون في مثل هذه الرسالة لا يكون أبدع منه شيء من الأساليب الأخرى... » [2].

وعلّق طه حسين عليها فقال:« أما أنا فأعتذر للكاتب الأديب إذا أعلنت مضطرا أن هذا الأسلوب الذي ربما راق أهل القرن الخامس والسادس للهجرة، لا يستطيع أن يروقنا في هذا العصر الحديث الذي تغير فيه الذوق الأدبي ولاسيما في مصر تغييرا شديدا»[3]

فطه حسين يعيب على الرافعي هذا الغموض والتكلف، فرد عليه الرافعي برسالة عنيفة ذكر فيها أنّ عدم أخذ الكاتب بأسلوبه ليس راجع إلى تغيير الذوق بل إلى ضعف هؤلاء الكتّاب وتقصيرهم، فيرد الرافعي في هذا الصدد: «على أن الأسلوب الذي كتبت به الرسالة كان موضع

1- ينظر علي لطرش، سلامة موسى ناقدا، ص205.
2- طه حسين، حديث الأربعاء ج3، ص285.
3- المصدر نفسه، ص587.

انفراد، وكانت الغاية التي يتقاصد دونها الأعناق منذ القرن الرابع إلى آخر القرن التاسع، ولم يوحش منه الذوق الأدبي كما يقول الأستاذ بل ضعف الكتّاب فيه وتقصيرهم عن حده، وأنهم لا يوافقون به مواضعه ولا يعدلون به إلى جهاته في ألفاظه ومعانيه» [1].

واتهم طه حسين بعدم القدرة على إجادة هذا الأسلوب ونقول الآن أنّ أكثر كتّاب العصر ومنهم الأستاذ طه حسين لا يجيدونه ولا يستطيعون مهما تكلفوا له وبالغوا في هذا التكلف وتحروا في المبالغة [2]

فرد عليها عميد الأدب معترفا بعدم قدرته على إجادة هذا الأسلوب ولا يريد إجادته وذلك تماشيا مع الأسلوب الجديد في مصر وعلى حد قوله: « وأنا لا أتردد في إقرار الأديب على أننا لا نجيد هذا الأسلوب وعلى أننا لا نريد أن نجيده... » [3].

ومن خلال هذا أعطى طه حسين رأيه في أسلوب الرافعي الذي هو نموذج للأدب القديم ففي أسلوب العتب تطول الملاحاة حول الخطأ والصواب أو الفصيح والأفصح كما هو الشأن في "هب" و "هب أن" مما يذكر بالتنزيه بمعنى التبعيد أو الارتياض كما قد سلف وتفصل الخلاف بين العميد والرافعي خاصة بعد نقد طه حسين كتابه " السحاب الأحمر" فقد جاء في رسالته بعث بها الرافعي إلى صديقه الشيخ "محمود أبو رية" حول رأي العميد في ذلك الكتاب: « أما هذا يعني العميد فكل الذين لقيتهم في مصر حتى من أصدقائه هنأني بالرد عليه وحاول بعضم أن يصلح بيني وبينه فرفضت وكنت جالسا عند رئيس التحرير لجريدة " الاتحاد " فحضر ولم أترك له ولم

1- طه حسين، حديث الأربعاء ج3، ص288.
2- ينظر المصدر نفسه، ص288.
3- المصدر نفسه، ص289.

أعب له وأهملته إهمالا تاما، وكذلك فعلت معه في إدارة السياسة، وقد ظهر لي أن أخلاقه... وأنه رجل مكابرة لا غير...» [1]

وفي يوم الجمعة ل 1970/04/24م زار العميد مساء الشيخ أبو رية ودار الحديث بينهما حول مسائل مختلفة وكان بينهما ما كان بين الرافعي والعميد من خلاف، وقد قال العميد:«أنا لا أدري بالضبط لما هاجمني الرافعي وكان عنيفا في هجومه متحاملا أشد التحامل،هل ذلك لأني قلت عن بعض كتبه مثل حديث القمر والسحاب الحمر إنّها غامضة وغير مفهومة... » [2]، ولم ينته العميد والشيخ أبو رية إلى رأي يحدد أسباب الصراع وهل كان من بينها أسباب سياسية أم أنها كانت تدور في نطاق الخلاف الفكري، وإن اتسم هذا الخلاف بالعنف والشقاق بين الرافعي والعميد وعلى الرغم من أن المعارك بين الاثنين استمرت طويلا، إلا أن هذا لم يفقد الاثنين احترامهما المتبادل لأعمالهما.

ولقد صرح طه حسين بأن الرافعي بالنسبة للمجددين خصم يحسب له ألف حساب كما صرح الرافعي بأنّ طه حسين في أشياء كثير حقيق بالإعجاب. وهكذا استمر الحال بينهما حتى توفي الرافعي سنة 1937م.

ج-العقاد: كما كانت له خلافات مع أساتذة آخرين أمثال محمود عباس العقاد الذي كان ينتمي إلى مدرسة مختلفة كل الاختلاف عن المدرسة التي ينتمي إليها " طه حسين"، لأن كل مدرسة لها مؤيديها وأنصارها، ولكل واحدة أساليبها في النقد والأدب والتوجيه في الحياة الفكريّة، ولكن هذا التباين بينهما لم يؤدي إلى صراع حاد، ويرجع هذا لعوامل عديدة أبرزها، إيمان كل منهما برسالة مؤداها... أنه بالمعرفة وبالمعرفة وجدها يستطيع أن يبث في حياتنا الفكرية والأدبية معاني الحرية

1- محمد الدسوقي، طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، ص88.

2- المرجع نفسه، ص89.

التي تصبوا إليها نفسه كهدف، كما كان كل منهما يتجنب الاصطدام بالآخر ويحسب له ألف حساب وذلك أن كل واحد منهما يدرك كفاءة وطاقة ومقدرة الآخر[1].

وكانت بداية الخصومة بين الاثنين عندما أصدر الأستاذ العقاد كتابه" رجعة أبي العلاء" كتب الدكتور طه حسين مقالا في مجلة الثقافة نذكر منه " جرى على لسان التلميذ على لسان الشيخ كلام أهمل فيه النحو بعض الإهمال، وما أظن أن أبا العلاء كان ينصب أو يجر حيث يجب الرفع، وما أظن أنه كان يقبل تلميذه أن يضع من مكان ما، مما أشك أن هذا من خطأ المطبعة ولكنه خليق أن ينتبه إليه. وفي الكتاب ذكر لحيرة المنبت الذي أرضا قطع، ولا ظهرا أبقاه، وما أعرف أن المنبت حائر وإنما المنبت مسرف في الإسراع يعرض قلبه للعطب فلا يغني عنه إسرافه في السرعة شيئا فلا حيرة هناك ولا حائر...."[2].

ولهذا السبب رد الأستاذ العقاد على طه حسين في المجلة نفسها بقوله:« رجعنا إلى الصفحة 189 التي أشار إليها الدكتور فلم نجد فيها منصوبا يجب رفعه، وإنما وجدنا المعري يسأل: والمساكين والمستضعفين؟... دون أن يسبق الكلمتين عامل مذكور والقاعدة النحوية في هذه الحالة أن يرجع إلى التقدير كقول الشاعر في البيت المشهور الذي يعرفه النحاة:

أخاك أخاك ان من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح[3].

فالشاعر هنا لم يقل" أخوك، أخوك" لأن الكلمة واقعة في الابتداء ولكنه أخاك أخاك لأن التقدير" أذكر أخاك "، وكذلك كلمتا "المساكين والمستضعفين" تجران لأن التقدير " ما شأن المستضعفين" أو " ما بال المستضعفين " أو " أني أسأل عن المستضعفين " وليس هناك ما

1- ينظر سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية ص316.
2- ينظر المرجع نفسه، ص317-318.
3- المرجع نفسه، ص318.

يوجب الرفع على الإطلاق أما "من" في موضع "ما" فقد رجعنا إلى الصّفحة 223 التي أشار إليها الدّكتور فإن هو يشر إلى قولنا " لو أن الأستاذ قد شهد أسراب الطير وهي تعبر المحيط كل فيغرق منها من يغرق ويسلم من يسلم وأبو العلاء لا ريب أن يقبل من تلميذه أن يضع " من " في هذا الوضع لأن:

أسرب القطاهل من يعير جناحه لعلي إلى من قد هويت أطير

من تستعمل للعاقل وغير العاقل في أفصح الكلام» [1].

ويذهب طه حسين إلى كتاب أبي نواس للأستاذ العقاد بالنقد فيقول في نقده أن علماء التحليل النفسي لهم مذاهبهم في البحث يعتمدون فيه على التجارب التي تستقيم لهم حينا ويخطئون فيها حينا آخر. أما بالنسبة للأدباء فيذهبون مذهب التقليد والمحاكاة لا مذهب الاستكشاف والاجتهاد، وبالنسبة للعلم فلا يجوز فيه التّقليد[2].

ويرد عليه العقاد بقوله:« أن دراسة الأديب لعلم النفس ودراسته للأدباء والشعراء على ضوء هذا العلم أمر ضروري لأنّه عندئذ سيتمكن من تفهم ما يصدرون عنه مثال ذلك أن أبو نواس،وحكيم المعري والمتنبي وبشار لا يخلوا أمرهم من الاعتداد بالنفس، ولكن علم النفس يمكن من التمييز لأنه يذكر لك أن هناك اعتداد بالنفس يدخل في جنون العظمة واعتدادا بالنفس يتدخل في جنون الأثرة، واعتدادا بالنفس يدخل في الانحصار الذاتي، واعتدادا بالنفس يدخل في جنون

1- سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية ص318.

2- ينظر المرجع نفسه ، ص319.

النقص والتحدي واعتدادا مبعثه العناد ثم اعتدادا بالنفس فيدخل في جنون الاشتهاء الذاتي وهو النرجسية التي وصفنا بها أبا نواس» [1].

وبالرغم من الخلاف الذي بين العملاقين إلا أن هناك علاقة ودّ وصفاء ووفاء بين الطرفين، وهذا ما نلمسه في حنايا رسالة وداع الدكتور طه حسين لصديقه العقاد عندما توفي في عام 1964م، حيث قال في جريدة الجمهورية الصادرة في 1964/03/13 م « ما أشد ما بينك وبيني من خصام في السياسة أحيانا وفي الأدب أحيانا، وما أحلى ما كان بينك وبيني على ذلك من مودة واخاء... أنت أيها الأخ الكريم والصديق الحليم والزميل العزيز ملأت الدنيا حقا وشغلت الناس حقا وستشغلهم بعد وفاتك أكثر مما شغلتهم في حياتك... » [2].

وما يمكن أن نقوله أنّ الخصام بين هذين العملاقين كان من نوع آخر مقارنة بالمعارك التي جمعته بالنقاد السابقين لأن كلاهما لم ينقص من قيمة واحترام الآخر، كما أن كلاهما يدرك قوة وقدرة الطرف الآخر.

د-سلامة موسى: كما كانت لطه حسين خصومات ضد نقاد يتبعون نفس مذهبه ومن أنصار التجديد، من بينهم الأستاذ سلامة موسى الذي كانت له نقاط تشابه واختلاف مع الدكتور طه حسين فهذا الأخير كان يدعو إلى القضاء على النظام الرأسمالي، بينما نجد سلامة موسى جادّا متطرفا وهو يدعو للقضاء على هذا النظام القذر، كما كان كلاهما يدينان بالفضل للثقافة الغربية إلا أنّ لكلّ منهما وجهة نظر، فطه حسين ينتمي إلى الثقافة الفرنسية بينما سلامة موسى ينتمي

1- سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص319.

2- المرجع نفسه، ص319.

للثقافة الإنجليزية كما يوجد اختلاف آخر يتمثل في نوعية الثقافة نفسها، فالأول ثقافته تتضمن دراسة الآداب والفلسفات واللغات... أما ثقافة الثاني فتتضمن دراسة القانون[1].

والاثنان يهتمان بإعادة تقييم الأدب العربي القديم ومع ذلك نجد اختلافا في أسلوب كل منهما في التقييم، فطه حسين يقيّم الأدب العربي القديم تلك التي عرفناها فيما سبق، أما بالنسبة لسلامة موسى فنظرته للأدب العربي القديم تختلف تماما، فهو يرى بأنّه أدب غيبي صوفي يمثّل ثقافة القرون الوسطى وغايته الأولى خدمة الدّين[2].

ويعدّ هذا الاختلاف بداية المعركة بين الاثنين، فمعركة طه حسين والأستاذ محمود عباس العقاد حول الثقافة اللّاتينية والثقافة السكسونية... حيث كان الأستاذ سلامة موسى طرفا في هذه الخصومة، وهنا كان ردّ الدكتور طه حسين عليه في ذيل الردّ على الأستاذ عباس محمود العقاد فيقول:« أما بعد فهل يسمح لكتاب آخرون أرادوا أن يخوضوا في هذا البحث بأن أتحدث إليهم حديثا قصيرا لكن لابدّ منه، فأمّا أحد هؤلاء الكتاب فهو الأستاذ سلامة موسى الذي تفضل فجلس مجلس القاضي وأصدر بين الثقافتين حكم الواثق المطمئن في أسطر ما أحسبها تتجاوز العشرة ووجد طريقا إلى أن يقارن هذه الأسطر القليلة بين الإنجليز والفرنسيين و بيّن أنّ قول "فرانس وبرناردشو" وأن يقول أنّ الفرنسيين قادوا العالم في القرن الثامن عشر، وأنّ الإنجليز يقودون العالم الآن، وأظنّ أن الأستاذ سلامة موسى يوافقني على أن هذه المسألة أعسر وأعظم

1- ينظر سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص313.

2- ينظر المرجع نفسه، ص313، 314.

خطرا من أن يقضي فيها بجرة قلم، وبهذا الإيجاز لا يمكن أن يوصف بأقلّ من أنه يدعوا إلى الابتسام... » [1].

وعندما يقرأ الدكتور طه حسين مختارات سلامة موسى، يبادر بالكتابة عنها في السياسة ويقوم بإعادة نشرها في كتابه حديث الأربعاء فيقول في ذلك: « أريد أن أكون حرّا ولكن يكره مني الأستاذ سلامة موسى أن أكون حرا معه فالمثقف حقّا يحب الحرية ولا يكرهها وأنا أشهد أنّه مثقف حقّا، وإذن فأنا أستبيح لنفسي أن أكون حرّا في فترة يخيل إليّ أنه يسرف في القراءة، و يخيّل إليّ أن إسرافه في القراءة هذا يحمله على الإسراف في الكتابة أي يحمله على تناول الموضوعات لا أقول لم يتقنها ولم يقبلها وإنّما أقول بحثا وتفكيرا وأحسبه لو فكر فيما يعلم واصطنع الأناة فيما يكتب لاستطاع أن يتجنب شيئا من السخف يتورّط في مثله كبار الكتاب حين يجتنون الأناة والرواية فيما يكتبون...»[2].

أما بالنسبة لرأي طه حسين في سلامة موسى وكتاباته فيقول في المقال نفسه مايلي:«الأستاذ سلامة موسى ليس من أصحاب الألوان السياسية الظاهرة، فقد يكون سعديا، وقد يكون حرّا دستوريا وقد يكون وطنياّ، بل قد يكون اتحاديا ولكنه على كلّ حال لا يعلن رأيه السياسي أو لا يتكلّف إعلانه ولا يتخّذ لنفسه لونا»[3]

أمّا رأي الطرف الآخر من المعركة فقد ردّ عليه فيما يلي: « فقد اتهمني الدكتور طه حسين بالشعوبية أو كاد وكأنّه نسي كفاحي لأجل الشعب ضدّ الفاروق الفاسق هذا الفاروق الذي وقف الدكتور طه حسين نفسه في حرم الجامعة ومن منبرها يخاطب بالصوت العالي بقوله

1- سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص314.
2- المرجع نفسه، ص314.
3- المرجع نفسه، ص314، 315.

(ياصاحب مصر) واتهمني عباس محمود العقاد بأني لست عربيّا مع أنه هو و هو التركي النوبي وصف فاروقا بأنه فيلسوف من أعظم الفلاسفة أنّ أدب الملوك والأمراء والباشوات هو الذي يدعو إليه طه حسين وعباس محمود العقاد»[1].

والأغرب ما في الأمر أنه رغم الخلاف الذي نجده بين الاثنين إلا أنه تربطهم علاقة وِد وإخاء وهذا ما نلاحظه فيما نشره سلامة موسى في مجلته "المستقبل" حديثا عن الشيخ طه حسين وتشجيعا له في العدد الثاني من المجلة ويستمر هذا الود بين الاثنين حتى توفي الأستاذ سلامة موسى 1958م.

وهذه المعارك لا يمكن فصلها عن ظروفها الموضوعية التي أحاطت بها، فهي تدخل كذلك ضمن الجهود الرامية إلى تطوير الحركة الأدبية وضمن صراع الأجيال نتيجة تطور النظرة إلى الأدب والفن بشكل عام، وهي امتداد طبيعي للنقاش الساخن الذي فتحه رواد التجديد الفكري منذ بداية تكوين علاقات مع الثقافات الأخرى الحية، فهي إذا دليل على التباشير الصحوة الفكرية وعلى ديمقراطية النقاش وحرية التفكير وحق الاختلاف التي تكاد تغيب عن واقعنا وعن الحركة الأدبية اليوم.

1- سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص315.

خاتمة

ترعرع "طه حسين" في بيئة أزهرية، تعرف فيها على الأدب العربي القديم، كما تعلم على يد مشايخه الأجلاء أساليب الحوار، ومن أشهر الأساتذة الذين تأثر بهم "طه حسين" الشيخ المرصفي الذي ترك في نفسه أثرا شديدا، وكان له في الأدب والنقد ذوق على شاكلة ذوق أستاذه، كما درس "طه" في الجامعة المصرية التي التقى فيها بمشاهير الرجال في ميادين العلم والأدب والفن والفلسفة من أمثال الأستاذ "أحمد زكي باشا" الذي درس عليه الحضارة الإسلامية، وكذا أستاذه "كارلو نالينو"، كما كان لبعض الشخصيات الغربية الأثر الواضح في فكره النقدي تجلى في خطابه النقدي أمثال "تين" و "ديكارت" و "سانت بيف".

ونتيجة لهذا التكوين الأدبي والفكري بدأت تتشكل لدى "طه حسين" نظرة نقدية في مطلع شبابه، إلا أن نقده في هذه المرحلة المبكرة كان نقدا لغويا وبلاغيا يحكم فيه الفصيح والرسين والجزل، وينظر لشعر الشاعر بالتشبيه أو الاستعارة وغيرها من بيان وبديع فيأخذه بقبحها أو بما شابه ذلك من ألوان البيان.

ومن خلال خطابه النقدي نلاحظ أثر الدراسة الجامعية، فمنذ أن ولج " طه حسين" الجامعة بدأت لهجته النقدية تتغير، فبدأ يطرح على الملأ أفكارا عرفها من معين الثقافة الغربية وهذا دليل على مدى تأثره بهم وبمناهجهم الجديدة وأفكارهم النيرة.

ولعل المزج بين منهجين، منهج علمي صارم، ومنهج انطباعي كان انعكاسا لامتزاج ثقافة طه حسين الغربية بثقافته الجامعية الأزهرية وهذا ما أدى به أن يخوض العديد من المعارك والخصومات النقدية الحادة أحيانا وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على عقل طه حسين المشرع لرياح التغيير في معايير النظرة إلى الأدب وإلى الثقافة عامة.

ومن هنا تكمن أهمية "طه حسين" حيث استطاع أن يوفق بين ثقافتين مختلفتين وان يجمع بين الطريقة الموضوعية في التحليل، والطريقة الذاتية في دراسته النقدية التي كان لها الأثر البالغ في دفع وتطوير الحركة النقدية.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- أبا عوض، الحركات الفكرية و الأدبية في العالم العربي الحديث، دار الثقافة، دار البيضاء، (د.ط)، 1983م.

2- أحمد علبي، طه حسين رجل فكر وعصر، دار الآداب بيروت، (د.ط)، 1985م.

3- بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو مصرية، (د.ط)، 1963م.

4- حلمي مرزوق ، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ط1، 2004م.

5- خالد الكركي، طه حسين روائياً، مكتبة الرائد العلمية، عمان الأردن،(د ط)، 1992م.

6- سامح كريم، ماذا تبقى من طه حسين، دار القلم بيروت لبنان، طبعة جديدة.

7- سامح كريم، معارك طه حسين الأدبية والفكرية، دار القلم، بيروت لبنان، طبعة جديدة (د ت).

8- طه حسين ، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1962م.

9- طه حسين، الأيام ج1، دار المعارف مصر، ط59، 1981م.

10- طه حسين، تاريخ الآداب العربية، دار المعارف مصر، ط2، 1970م.

11- طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، مطبعة المعاهد مصر، ط2، 1922م.

12- طه حسين، خصام ونقد، دار العلم للملايين، لبنان، ط 11، 1983م.

13- عبد العزيز شرف، طه حسين و زوال المجتمع التقليدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ط2 ،1977م.

14- علي لطرش، الخطاب النقدي الاجتماعي وموقفه من التراث العربي، أطروحة الدكتوراه،2007م.

15- علي لطرش، سلامة موسى ناقدا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،1992،م1993م.

16- فؤاد مرعي، النقد الأدبي الحديث، منشورات جامعة حلب، (د.ط) ،1981م.

17- كمال نشأت، النقد الأدبي الحديث في مصر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، (د.ط)، 1983م.

18- محمد الدسوقي، طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، دار العربية للكتاب ليبيا تونس، ط3، 1983م.

19- مصطفى الصافي الجويني، أبعاد في النقد الأدبي الحديث، منشأة المعارف،الإسكندرية،(د.ط)،(د.ت).

فهرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

مقدمـة:.....أ

تمـهيد:.....4

الفصـل الأول: طه حسين نشأته وثقافته

1- **الحالة الاجتماعية العائلية لطه حسين**.....**07**

2- **ينابيع ثقافة طه حسين ودوافع توجهه إلى النقد** **09**

أ. ينابيع ثقافة طه حسين.....09

ب. دوافع توجه طه حسين إلى النقد.....12

3- تطور الرؤية النقدية عند طه حسين.....**17**

أ. مرحلة التقليد.....17

ب. مرحلة التجديد.....20

ج. شخصيات مؤثرة في فكر طه حسين النقدي.....**21**

- سانت بيف.....25
- برونيتر.....25
- تين.....25

الفصل الثاني: نماذج من خطاب طه حسين النقدي

1- قضايا من بعض كتب طه حسين النقدية.....**30**

أ. خصام ونقد.....30

ب. تقليد وتجديد.....33

ج. حديث الأربعاء.....34

2- معارك طه حسين النقدية.....**36**

أ. المنفلوطي.....37

ب. الرافعي.....38

ج. العقاد.....41
د. سلامة موسى.....44

خاتمـة.....49

قائمـة المصادرو المراجـع.....52

فهرس الموضوعات 54